في رحاب ليلة القدر

قراءة في اسرارها

تأليف

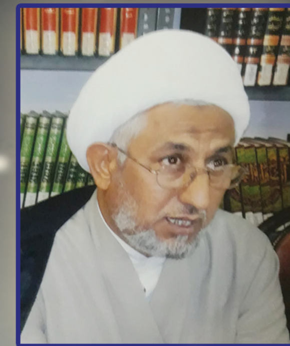
عبد الامير الدريعي

المراجعة اللغوية

الدكتور عادل راضي

في رحاب ليلة القدر

عبد الامير الدريعي



نبذه عن المؤلف

خريج الجامعة المستنصريه _ كلية العلوم _ قسم الكيمياء عام ١٩٨٦

درس في الحوزة العلمية في النجف الأشرف في عقد التسعينات .

له عدة بحوث مهيأة للطبع في التربية والأجتماع والعلاقات الأسريه .

كتب القصة القصيرة والأقصوصة وكذا له مجموعة قصصيه مهيأة للطبع .

له قصائد في الشعر والثر ونشرٍ منها في الجرائد والمجلات .

يعمل في حقل التعليم مدرساً .

فيْ رِحابِ لَيلَةِ القَدرْ
قراءةٌ فيْ أسرارها

تأليف
عبد الأمير الدريعي

٢٠١٩

الإشراف اللغوي
الدكتور عادل راضي

في رحاب ليلية القدر
المؤلف : عبد الامير الدريعي

الطبعة الاولى : ٢٠١٩

عدد الصفحات :

الاخراج الفني : طالب جواد الخفاجي

آراء للطباعة والنشر والتوزيع ٠٧٧٠٢٨٢٢٠٥٤

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٧٠) لسـ ٢٠١٩ ـنة
عدد النسخ ٥٠٠ نسخة

الإهداء

إلى . . .

- روح والدي (رحمه الله)



- كُل مَن عَلَّمَني حَرْفاً

أهدي هذا الجهد المتواضع

عبد الأمير

المقدمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين، نبيّنا محمّدٍ الأمين الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً من عذابِ يومِ الدّين، وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين وَصَحْبِهِ المُنتجبين.

بعد التوكُلِ على الله تعالى رَبِّي وربكم، إرتأيتُ أَنْ أقف على أعتابِ ليلةٍ عظيمة القَدْر، كثيرةَ الخير، خَصَّها الله تعالى بذكرٍ عظيم وأَنزَلَ بها قُرآناً كريماً، وأَفردَ لها سُورةً من قُرآنه المجيد، وأسماها سُورةَ القَدر، تُخْبِرُنا عن ليلةٍ عظيمةٍ هي ليلة القدر، ثم يُلفتُ أنظارنا إليها، فيقول تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ** ﴾، أي أنزلنا القرآن،﴿ **وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ** ﴾. ثم جاءت أحاديث النبي الأكرم ﷺ، وروايات أهل البيت عليهم السلام لتبيّن ما يحدث في هذه الليلة من أسرار عجيبة، فيتحدث الأئمة الأطهار عن فضلها وعلو منزلتها

بما حَوَتْهُ من تلك الأسرار وكذلك من الخير العميم والبركة الكثيرة، فكانت بحق، ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾.

إن هذا الاهتمام الكبير بشأن وأحوال هذه الليلة لا بد وأن يكون دعوة كريمة من الله تعالى لعباده بأن يلتفتوا اليها ويتدَّبروا فيها وما تحتويه من أسرار وما يترتب عليها من آثار، وكيف لا تكون كذلك وقد أوصى بها رسول الله ﷺ، وأخبر عنها المعصوم، وتواترت بفضلها النصوص التي فاقت الحصر، وتسابق اليها الصحابة، وسارع لإحيائها الاكابر من العلماء والعارفين، وكُتِبَ عنها ما كُتِبْ، وكيف لا تكون كذلك وملائكة السماء فيها يهبطون ويعرجون بأمر ربهم وبأذن ربهم،

إنَّ البحثَ في ليلةِ القَدر لا زال بحاجةٍ إلى الإجابة عن كثير من التساؤلات، والتي بها ينكشفُ لنا بعَضْاً من أسرارها العظيمة، وقد وَجَدْتُ البحث فيها فرصة طيبة لتقديم ما يمكن تقديمه للقارئ الكريم.

لقد اشتمل الكتاب على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وأوضَحْتُ في المقدمة أهمية الموضوع، وعرضتُ في

التمهيد وقفةً قصيرةً في رحابِ كتابِ الله، وكذلك الوقوف عند الدعاء وأهميته، وكلمات أخرى هي أقرب ما تكون محاكاة للوجدان الإنساني.

وأوضحتُ في الفصل الأول معنى القَدر، ولماذا سُيمَّتْ بليلة القَدر، وكيف يكون الإستعداد لها، وما هي المقدمات العبادية لها، وما هي الحكمة الإلهية من اخفائها.

أما في الفصل الثاني، فقد أوضحتُ علاقة ليلة القدر بنزول القرآن الكريم، وهل هي ليلة تتجددُ في كل سنةٍ، وهل هي ليلة واحدة أم عدة ليالي، وما علاقتها بأهل البيت عليهم السلام، وماذا يحصل في هذه الليلة، وهل كانت على عهد الأنبياء.

وفي الفصل الثالث كان الكلام عن البداء والمشيئة في ليلة القدر، وماذا نعني بالبداء، كذلك ذكرنا آراء الفقهاء حول رؤية الهلال، وهل هي ليلة واحدة لكل أهل الأرض وكذلك أشرنا إلى خطبة النبي الأكرم ﷺ عند حلول شهر رمضان المبارك، واهم أعمال ليلة القدر المباركة، ثم الخاتمة.

أسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه الفائدة للمؤمنين والمؤمنات في هذا الجهد والذي سيكون متمماً لجهود من سبقني من الأفاضل اللذين كتبوا عن هذه الليلة العظيمة، وأن يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله الله مني بكرمه ولطفه، أنه جوادٌ كريم، ومنه التوفيق.

عبد **الأمير الدريعي**

١/رمضان/١٤٣٨هـ

وقفة قصيرة في رحاب كتاب الله

القرآن معجزة النبي الأكرم ﷺ، والمعجزة هي الأمر الظاهر الذي يورث الغرابة والعجب، ويعجز أهل عصره عن مجاراته أو الإتيان بمثله، على أن لا تكون هذه المعجزة مستندة إلى الأسباب العادية كالآلات والأدوات، وأن تؤثر في القلب أثرها البليغ حتى يُقِرَّ بها أهل الخبرة.

فالمعجزة سلاح الحق وعلامة النبوّة واستمرار الرسالة وتأييدها، والدعامة التي يستند عليها الأنبياء لإثبات مشروعهم الرسالي في الدعوة وأحقيتهم في القيادة، ومن ثم التأثير والتغيير،

كلمات القرآن الكريم :

القرآن، عبارة عن مجموعة حروفٍ نُظِّمَتْ لتكون كلمات يتكوّن من مجموعها الآيات والسُوَرْ، حروف هجائية يمكن للناس نظمها وترتيبها في كلمات وجمل لتكون قصة جميلة، أو قصيدة شعر أو رواية أو مقالة أو بحث.

غير أنهم لا يستطيعون أن يكتبوا آية واحدة على غرار ما جاء به كتاب الله العزيز.

لماذا؟، فيأتي الجواب : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[(١)].

فلو اجتمع أهل البلاغة والفصاحة وحاولوا أن يكتبوا، فلا يستطيعون نُظْمَ آية واحدة تشبه ما جاء في كتاب الله العزيز، كلام فوق طاقة البشر، به أنفاس الوحي وهيبة الناطق العليم، يُجلله ثُقل النبوّة، وقداسة المبعوث رحمه، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[(٢)].

يقول ((شبلي شُميّل)) [(٣)] أحد مفكري القرن العشرين مظهراً إعجابه بالقرآن الكريم، مع كونه رجلاً مسيحياً وملحداً، بل ومن دعاة الإلحاد في الفكر العربي على الإطلاق، يقول تحت عنوان : ((الحق أولى أن يُقال)).

---

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٨٨ .

(٣) طبيب ومفكر لبناني (١٨٥٠–١٩١٧).

إِني وإِنْ أَكُ قد كفرتُ بدينه ... هـل أكفُـرَنَّ بمحكـم الآيـاتِ
نِعْـمَ المُـدَبِّرُ والحكيم وإنَّـهُ ... رب الفصَاحَة مصطفى الكلماتِ[1]

وهذا ((رُسُل الإنكليزي)) و ((تولستوي الروسي)) و ((منتاي الألماني)) وغيرهم من كبار كتاب القرن العشرين الزاهر بالعلوم والتقدم في الفكر والثقافة قد أظهروا كامل إعجابهم بالقرآن الكريم وأهميته وجمعه لأمتن القوانين الصالحة للبشرية وللحياة بشكل عام.

لقد جاء القرآن الكريم متحدياً الإنس والجن ولو تأملنا فيه جيداً لوجدنا فيه أبعاداً شموليه لم تتوفر في غيره من الكتب السماوية التي سبقته، حيث أحاط بكل نواحي الحياة وأحاط بدقيق الأشياء وكبيرها، وان الله تعالى ألبسه ثوب الخلود ليبقى، قال أمير المؤمنين عليه السلام :

((إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، وهو نور لا تُطْفَأ مصابيحه، وسراجٌ لا يخبو تَوَقُّده، وبحرٌ لا يُدْرَكُ قَعْرُه)) [2].

---

[1] كتاب الدين الإسلامي بحث في الأصول والمبادئ، العلامة السيد حسن القبانجي النجفي، ص٢٤٩.

[2] نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد .

وهو بعد، مرآةٌ يتجلّى من خلالها الحقُ المنير بنور الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو الفيصل في بيان الحق من الباطل، وهو الملاذ وقت الشدة والفتن، من التجأ إليه فقد إلتجأ إلى رُكْنٍ وثيق وكهفٍ أمين، لا يُضلُّ من استهدى به لوضوحه وتناغمه وانسجامه مع الفطرة الإنسانية، قال رسول الله ﷺ : ((إذا التَبسَتْ عليكم الفِتَن كَقِطَعِ الليل المظلم فعليكم بالقرآن)) [١].

ولقد تحدث هذا الكتاب العزيز عن ليلة عظيمة بآيات قصيرة لكنها تحتوي على أسرار عجيبة، فالسورة هي سورة القدر والليلة هي ليلة القدر وقد جعلها الله تعالى خيراً من ألف شهر !، فهل نحن ملتفتون إليها، وقد قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢]، وعنه يقولُ رسولُ الله : جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وماذا نقول للمعرضين عن هذا السِفْر الخالد العظيم؟ وماذا عسانا أن نقول بعدما قال الله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ

[١] الكافي، ج٢، ص٤٣٨ : الشيخ الكليني.

[٢] سورة النحل : آية ٨٩ .

حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]، وقـال تعـالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ ﴾ [2].

نعم، قرآنٌ فيه عطر السماء، وأريج الجنة، ونور محمد ﷺ وَعَظَمَتِ الرسالة، وأنفاس جبريل، ظاهرٌ في لفظه كظهور الحق وعميق في معناه كعمق المسافة بين الأرض والسماء، متجدداً يحتضن الوجود، من الله قد انبثق وإليه يعود، باقياً يجاري القرون، خالداً، وشافياً لمن أراد الشفاء، وهو خير جليس يُحْتفَى به، وخير أنيس فمن أراد أن يكلمه الله فليقرأه، وسورة القدر هي سورة جليلة القدر، تحدثت عن ليلة عظيمة القدر، فدونكم السورة ودونكم اللية قال تعالى:﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴾ [3].

---

(1) سورة الأعراف : آية ١٨٥ .

(2) سورة النساء : آية ٨٢ .

(3) سورة الغاشية : آية ٢١ .

أهمية الدعاء في ليلة القدر :

لا يخفى، أن القرآن الكريم هو كلام الله الذي لا ريبَ فيه، وإنَّ قولَهُ صدْق ووعده حق، وقد أَمرَنا بالدعاء وَوَعَدنا الإجابة فقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾[١] فلا إستجابة إلا بعد الدعاء، فإن أقبلتَ على الله تعالى بالدعاء، أقبلَ اللهُ عليكَ بالرحمة والعطاء، ومَنْ مِنّا لا يحتاج في حياته للدعاء من المولى المتفضل على عباده، وهو تعالى قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[٢].

ومن ألطافه لعباده، أن جعل للدعاء أزمنةً وأمكنةً خاصة، يفيض بها على من يشاء من عباده بألوان عطفه وصور كرمه، ومن الأزمنة التي تهمنا -هنا في المقام- هو شهر رمضان المبارك وليالي القدر العظيمة، فقد قال رسول الله ﷺ: إن الله اختار من الأيام يوم الجمعة ومن الشهور شهر رمضان ومن الليالي ليلة القدر)) [٣] فلهذه

---

[١] سورة غافر : آية ٦٠ .

[٢] سورة فاطر : آية ١٥ .

[٣] بحار الأنوار، ج ٩٤ .

الأزمنة المباركة سِرٌ جعل الله الاستجابة فيها أسرع وقضاء الحوائج أنجح كما أن في أيام شهر رمضان ولياليه الكريمة الطيبة، تتهيأ فيها النفوس فتكون راغبة إليه تعالى مولعة بذكره ودعائه، فيها من الصفاء والنقاء ما يجعلها ترتقي في مدارج الشوق والإقبال، وهو الرؤوف الذي لا يَرُدُ يداً تسأله إلا أجابها حناناً منه ورحمة بعباده، ولقد جاء في دعاء الإفتتاح والذي يقرأ في كل يوم من شهر رمضان ((الحمد لله الذي لا يُغْلَقُ بابه ولا يُرَدُ سائله ولا يخيب آمله)) [١] فهو تعالى موضع حاجات الطالبين وهو العليم الخبير المُطلَّع على سرائر عباده وما تُضْمِرُهُ نفوسهم وما تهفو إليه وما تريد. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ** ﴾ [٢].

---

[١] دعاء الافتتاح، مفاتيح الجنان، ص٤٢ .

[٢] سورة ق، الآية ١٦ .

وعلينا أن نعرف تماماً أن الله تعالى يعرف ضعف عباده، كضعف أبدانهم ورقة جلودهم وعدم احتمالهم للعذاب الذي وعد به المستكبرين عن عبادته والتوجه إليه بالطاعة والخضوع، وهو اكرم من أَنْ يتركهم دون أن يرشدهم إلى بابٍ واسعٍ من أبواب رحمته وهو الدعاء والتوسل لاسيما إذا كثرت الذنوب وأنحرف العباد وانشغلوا بالدنيا وقل اهتمامهم بالمعاد، ولهذا رَغَّبَ الله العباد في الدعاء ليتداركوا كثرة ذنوبهم بطول استغفارهم لعل الله يعفو ويصفح، أنه واسع الرحمة، قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾[1]، يقول السيد عبد الأعلى السبزواري (قدست نفسه) في معرض الحديث عن هذه الآية الكريمة : ((إنه تحريض للدعاء بأسلوب بليغ يشعر بالعطف والحنان والمحبة وترغيب الإنسان بالوصول إلى الفيض المطلق، بأحسن بيان وأرق أسلوب وأبلغ خطاب يُلْقَى إلى السامع، واستقرار للنفس بأَنَّ

---

[1] سورة البقرة : آية ١٨٦ .

خالقها قريب منها يسمع دعاء من يدعوه)) [1]، وقد قال جملة من المفسرين، إذا كان المقام مقام إظهار الكبرياء والعظمة والاقتدار يأتي بضمير الجمع غالباً مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ ﴾وقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [2] وغير ذلك مما هو كثير وإذا كان في مقام الامتنان والرأفة والتحنن وإظهار المعيّة الباعثة للطمأنينة لعباده، فيأتي عندئذٍ الكلام او سياق الآية بضمير المفرد، قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [3]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا ﴾ [4].. ومن هنا إننا لا غنى لنا عن الدعاء الذي يُعد لوناً من ألوان الطاعة وإظهار العبودية لله عز وجل، قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((أفضل العبادة الدعاء)) [5]. وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((أفضل العبادة الدعاء وإذا أذن الله لعبد في الدعاء فتح له

---

[1] مواهب الرحمن : ج٣، ص٤٧ السيد السبزواري .

[2] سورة القدر : آية ١ .

[3] سورة طه : آية ٤٦ .

[4] سورة طه : آية ١٤ .

[5] مواهب الرحمن : ج٣، ص٦٦. السيد عبد الأعلى السبزواري.

أبواب الرحمة، إنه لن يهلك مع الدعاء أحد)) [1]، وقال الإمام الصادق عليه السلام : ((الدعاء يرد القضاء بعدما أبرم إبراماً)) [2]، ولما كان للدعاء أزمنة وأمكنة كما بيّنا، فإن للدعاء شروطاً كذلك ومنها :

١- المعرفة، قيل للإمام جعفر بن محمد عليه السلام : ندعو فلا يُستجاب لنا، قال : ((لإنكم تَدْعُونَ مَنْ لا تَعْرِفُون))[3].

٢- العمل بما تقتضيه المعرفة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[4]. وقال الإمام علي عليه السلام : ((الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر)) [5].

٣- حضور القلب ورقته عند الدعاء، فعن الإمام الصادق عليه السلام : ((إذا رَقَّ قلبُ أحدكم فليدعُ، فإنَّ القلبَ لا يَرقُ حتى يَخْلُصْ)) [6].

---

[1] عدة الداعي : ٣٥. أحمد بن فهد الحلي .

[2] مواهب الرحمن : ج٣، ص٦٦ز السيد عبد الأعلى السبزواري.

[3] المصدر السابق.

[4] سورة البقرة : ٤٠ .

[5] نهج البلاغة، ص٣٧٢.

[6] الكافي، ج٢، ص٤٧٧. محمد بن يعقوب الكليني.

٤- حسن الظن بالله والتوكل عليه واطمئنان قلب المؤمن، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[1].

٥- إختيار الأوقات الشريفة والمباركة للدعاء كيوم الجمعة ويوم وليلة عرفة وشهر رمضان وليالي القدر العظيمة ووقت السَحَرْ من ساعات الليل، قال تعالى : ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [2]، وما دَلَّتْ عليه السنَةُ الشريفة ففي بعض الأخبار : ((من فاته الدعاء في شهر رمضان فلينتظر يوم عرف، ومن فاته الدعاء فيه فلينتظر شهر رمضان المقبل)) [3]، قال رسول الله ﷺ : ((إن الله يُنْزِلُ مَلَكاً إلى سماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير وكذلك ليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيه سُؤْلَه، هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفرٍ فأغفر له...))[4]، فالدعاء

---

(١) سورة الرعد : آية ٢٨ .

(٢) سورة الذاريات : آية ١٨ .

(٣) مواهب الرحمن ، ج٣، ص٦٥. السيد عبد الأعلى السبزواري.

(٤) الكافي، ج٢، ص٤٧٦. الشيخ الكليني.

مع حُسن الظن بالله كفيل بالإجابة، اما مع التردد والشك فلا تكون إجابة.

وقد ورد في الحديث القدسي الشريف ((أنا عند حسن ظن عبدي بي، فلا يظن إلا خيرا)).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : ((إذا دعوت فأَقَبِلْ بقلبك وظن حاجتك بالباب)) [١]، ثم أن الدعاء يمتد في تأثيراته ومعطياته الحسنة إلى ولد الولد، فقد جاء في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه : ((يا أبا ذر إن الله يُصْلِحُ بصلاح العبد ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته والدور حوله ما دام فيهم)) [٢]، ولا يكون صلاح الإنسان إلا بالمكسب الحلال الذي لا تشوبه شبهه وكذلك حِلِّية طعامه وملبسه وأن يتجنب الخبائث من القول والفعل والابتعاد عن أموال الربا والغش والتدليس وشهادة الزور ورمي المُحصنات وغيرها من الخبائث التي تكون حاجباً عن استجابة الدعاء.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٤٧٢ .

(٢) نفس المصدر .

٦- الإقرار بالذنب وإعلان التوبة النصوح، فعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : ((إنما هي المدحة ثم الثناء ثم الإقرار بالذنب، ثم المسألة، إنه والله ما خرج عبد من ذنب إلا بالإقرار)) [1]، أي الاعتراف بذنبه بين يدي الله تعالى وهو العليم الخبير.

٧- وعلى الإنسان أن لا يتكلفَ الدعاء، بل يكفي بكل ما جرى على لسانه، إذا رَقَّ قلبه وخشعتْ جوارحه، قال زُراه للإمام الصادق عليه السلام : ((علّمني يا أبن رسول الله دعاء، فقال الإمام : ((إن أفضل الدعاء ما جرى على لسانك)) [2]، والمراد به الكلام الذي يستشعره الإنسان عند وقوفه بين يدي الله حين يدعو مع مراعاة آداب الدعاء كالصلاة على النبي وآله ابتداءً والثناء والمدح والخضوع والإقرار بالتقصير ثم التوبة ثم عرض المسألة.

ومن أراد أكثر من ذلك فليدعو الله تعالى بما ورد على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأدعية الأئمة المعصومين كدعاء كميل ودعاء الإفتتاح ودعاء أبي حمزة الثمالي ودعاء

---

(١) مواهب الرحمن، ج٣، ص١٨٦. السيد عبد الأعلى السبزاوري.

(٢) وسائل الشيعة، ج٤، ص١١٧. الحر العاملي.

البهاء ودعاء الجوشن الكبير وكذلك أدعية الصحيفة السجادية، ومناجات أمير المؤمنين عليه السلام وهي كثيرة، وكذلك من آداب الدعاء هو أن يدعو لإخوانه حتى الميت منهم وجيرانه وكل من له حق عليه.

٨- اغتنام الأحوال والأوقات الشريفة كزحف صفوف المؤمنين للجهاد في سبيل الله، وعند إقامة الصلوات الواجبة، وعند رفع الآذان وعند الإقامة، وعند نزول الغيث، وقبل طلوع الشمس وعند الغروب فعن الإمام الصادق عليه السلام : ((إن الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها سُنّةٌ واجبة)) [١]، وعن علي ابن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : ((اغتنموا الدعاء عند أربع، عند قراءة القرآن، وعند الآذان، وعند نزول الغيث وعند إلتقاء الصفين للشهادة)) [٢].

وهذا يعني أنها أوقاتاً تكون بعين الله الذي لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، وإنَّ الله مع المؤمنين والمتقين والمجاهدين،

---

[١] الكافي، ج٢، ص٣٨٧. للشيخ الكليني.

[٢] ا لكافي، ج٢، ص٣٨٧. للشيخ الكليني ، ص٤٧٧.

وإنَّ هذه الأوقات هي مَحال نزول البركات والخيرات، قال مالك ابن دينار : ((أصاب الناس قَحْطٌ في بني إسرائيل فخرجوا للدعاء مرات عديدة، فأوحى الله تعالى إلى نَبيهّم أَنْ أخبرهم أنكم تخرجون إليَّ بأبدان نَجسه وترفعون إلي أكفّاً قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بطونكم من الحرام))(١).

٩- إن الصلاة على محمد وآل محمد، هي مفتاح لكل خير فإذا أراد العبد أن يدعو ربَّه فليبدأ بها، قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : ((إذا كانت لك إلى الله حاجه، فأبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم سَلْ حاجتك، فأنَ الله تعالى أكرم من أنْ يُسْأل حاجتين فيقضي أحداهما ويمنع الأخرى)) (٢).

١٠- الإلحاح بالدعاء مع الإقرار بالذنب، فقد ورد في الإرشاد للشيخ المفيد : أخبرني أبو محمد الحسن ابن محمد عن جده عن سَلَمه ابن شبيب عن عبيد الله ابن محمد التيمي قال : ((سمعتُ شيخاً من عبد القيس يقول قال طاووس دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن

(١) المحجة البيضاء، ج٢، ص٢٩٨. محسن الفيض الكاشاني.

(٢) عيون الحكم والمواعظ : علي بن محمد الليثي الواسطي، ص١٣٢.

الحسين (عليهما السلام) وقد دخل فقام يصلي، فصلى ما شاء ثم سجد سجدة طويلة، فقلت: رجلٌ صالح من أهل البيت لأستمعنَّ إلى دعائه، فسمعته يقول في سجوده : ((عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك)) [١].

ونحن هنا لسنا بمقام أَنْ نتحدث عن الدعاء إنمَّا أردنا أن يكون مقدمة ما دُمنا سنتحدَّث عن ليلة القدر والتي من أهم الأعمال فيها هو الدعاء.

الفوز والظفر بهدايا ليلة القدر :

ليلة القدر ليس برنامجاً دينياً نؤديه ولا احتفالاً نحضره أو تكليفاً يشبه الواجب الذي نريد مجرد إسقاطه، لينتهي الأمر بالقبول! لا ليس كذلك، إنَّ أول العمل المعرفة، معرفة حقيقة هذه الليلة وماذا يحصل فيها، ثم الرغبة الصادقة في إحيائها وليس على قاعدة (حشرٌ مع الناس عيد)!

---

[١] الإرشاد، ج٢، ص١٤٣. الشيخ المفيد .

بل توجّهٌ دقيق، وسيرٌ حثيث ورغبة أكيده، وهنا لا بُدَّ من كلماتٍ في هذا المقام.

■ **لا راحة إلا بذكر الله.**

تُعاني المجتمعات اليوم، على اختلاف تكوينها الفكري والأخلاقي أكثر من أي وقت مضى من البعد عن الأجواء الروحية التي تربط هذه المجتمعات بالدين والقيم، فأصبح الدين لدى الكثير من هذه المجتمعات مجرد طقوس يؤديها القليل ويتخلّف عنها الكثير من الناس، وارتفعتْ هنا وهناك صيحات تدعو للأنفلات والتمرّد على القيم والأخلاق والأعراف التي كانت تنظم حركة المجتمعات ممّا جعل انضباط الناس أضعف من أي وقتٍ كان، وباتت الأصوات الداعية إلى الالتزام بالدين ضعيفة جداً إلى الحد الذي إنسلخت أكثر المجتمعات عن إنسانيتها، بل راح الكثير يدعو إلى مزيد من الانفلات بدعوى التحرر من قيود الدين والتي أصبحت تحدد طاقات هذه المجتمعات حسب زعمهم، وفي كل يوم تظهر صيحات جديدة تدعو إلى أفكار وقيم بديلة عن نظام الدين وقيمِهِ الحقَّه، ونعزُوا أسباب ما يحدث هو البعد عن الله وانغماس الناس في

ملـذات الحيـاة بصـورة كبيـرة، وإلـى مجموعـة القـوانين الوضعية التي أخذت تحاصر الفطرة الإنسانية السليمة، وأمتد هذا الوباء ليشمل الساحة الإسلامية وفي مجتمعات المسلمين حتى تفشَّتْ ظاهرة التطرف والعنف والتكفير وغيرها من التيارات المنحرفة تحت عناوين إسلامية جديدة!

وتتغير مفاهيم الناس سلباً لتبرير هذا السلوك وحتى على مستوى الأفراد من الناس، فنرى اليوم تهاوناً واضحاً في أداء التكاليف الدينية كحضور الصلاة في المساجد لا سيّما يوم الجمعة مع أن الخطاب القرآني واضحٌ جداً، قال تعالى : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[١].

فمن سمح لنفسه أن تتهاون وتتحرم من الفيوضات والألطاف الإلهية بحضور الصلاة ومجالس الوعظ وقراءة القرآن، فقد لا يتوفر لديه الشوق والرغبة لإحياء ليلة القدر.

---

(١) سورة الجمعة : آية ٩ .

ويوماً بعد يوم، يرى الإنسان نفسه بعيد المسافة عن ساحات العبادة ومساجد الصلاة، حيث تتراكم لديه جملة من الانقطاعات عن الجماعة ومجالس الذكر وحلقات الوعظ ومجالسة الصالحين، فيموت قلبه حيث لا موعظة تحييه ولا آيات تحاكيه، فتستوحش نفسه، ويمرض قلبه، ويتيه فكره، ويزداد عن الله بعده لاسيما إذا أَدْمَنَ مجالسة أهل اللهو والغيبة والنميمة والكذب، في حين ورد عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الحث على حضور مجالس وحلقات الوعظ والذكر واستحباب مجالسة العلماء والاستماع إلى حديثهم، وأقتباس أثارهم الطيبة.

- ((روي أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله إني ضرير قد كَفَّ بصري وربما أسمع النداء (آذان الصلاة) ولا أجدُ من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : شُدْ من منزلك إلى المسجد حبلاً وأحضر الجماعة)) [1].

[1] تهذيب الأحكام، ج٣، ص٢٦٦. الشيخ الطوسي.

وورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : ((قال إذا سُئِلْتَ عمَّن لا يشهد الجماعة فقل: لا أعرفه!)) [1].

▪ التوفيق :

المعروف أن المبدعين إنما حققوا الإبداع في أعمالهم لأنهم كانوا يحبون هذه الأعمال، وربما شعروا بالعناء وبذلوا الجهد وسهروا الليل، غير أنهم يتلذذون به ويخلصون كثيراً فيما يصنعون ويحققون، لا خوفاً من رقيب ولا طمعاً في مال إنما هي هكذا سجيتهم وفطرتهم وهكذا حياتهم الشخصية، فهؤلاء أقرب إلى النجاح من غيرهم وحظوظهم في التوفيق كثيرة.

---

[1] بحار الأنوار، ج٨، ص٨٨. الشيخ المجلسي.

■ **شعور :**

هل نشعر ونحن نؤدي أعمالنا وعباداتنا أننا نريد إسقاط واجب وجدناه مفروضاً علينا؟

إذا كان شعورنا هكذا، فالعمل فاشل والعبادة فارغة، ونحن إنما نخادع أنفسنا، الأيام تمضي بنا بلا أجرٍ ولا ثواب، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : ((من تساوى يوماه فهو مغبون، ومن كان أمسه أفضل من يومه فهو ملعون)) [١]، كما ورد في الحديث كذلك قوله عليه السلام : ((كم من مُصَلٍّ ليس له من صلاته إلا النصب)) والنصب هو التعب ولا شيء غيره، ولا أجر يترتب عليه. إنها الخسارة الكبرى! قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾[٢].

---

[١] نهج البلاغة : شرح ابن أبي الحديد .

[٢] سورة الكهف : آية ١٠٣-١٠٤.

▪ لماذا نصلي؟

بعض العارفين يقولون أننا نشعر باللذة والشوق حين نُصَلّي، إنه لقاء العاشقين بحضرة الله تعالى، هل شعرنا نحن بذلك؟ لعل الشوق واللذة هما اللذان جعلا سيد الشهداء يصلي بكربلاء بوقتٍ لا يعرف غير السيف والقتل.

▪ متى نفوز ؟

إذا حافظنا على حقيقة الإيمان في نفوسنا وملاك الإيمان التقوى، والتقوى ناتجة عن المعرفة والخوف، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [١] .

وملاك الإيمان التقوى كما بيّنّا وهي أن تخشى الله وتحذره، فحلمه طويل لكنه بالمرصاد، وإن لا تفكر بالخلود في دنيا ستزول حتماً، وإن الموت ليس ببعيد، وكل ما هو آتٍ قريب، يوم يَعَضُّ الظالم على يديه لما سوف يرى أن

---

[١] سورة الأنفال : آية ٢ .

كل حماقاته سُجِلت في كتاب شاء أم أبى سيقرأه، قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[1].

فالمؤمن دائماً يعمل وهو بين مخافتين كما قال الإمام الصادق عليه السلام : ((المؤمن بين مخافتين : ، ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمرٌ قد بقي لا يدري ما يكتب فيه، فهولا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف)) [2].

▪ أين المشكلة ؟

نحن نعيش في غفلة لطول أملنا في الحياة وهو أمل قصير لأن الموت يأتي بغتة! ... يقول أمير المؤمنين: ((الناس نيام فإذا ماتوا أنتبهوا)) [3]، ولذا قال تعالى عن الذين ينتبهون متأخرين ويندمون في وقت لا ينفع الندم : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[4] لعلي اعملُ صالحاً فيما تركت.

---

[1] سورة الأسراء : آية ١٤ .

[2] الكافي، ج٢، ص٧١. الشيخ الكليني.

[3] الكافي، ج٨، ص٣٠٨. الشيخ الكليني.

[4] سورة المؤمنون : آية ٩٩ -١٠٠.

ويأتي الجواب، كلا، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [1].

▪ متى يموت الإنسان حقاً؟

ليس كما نعتقد ... وليس كما نتصوّر، حين خروج الروح وحين دخول القبر، كلا، فربما بدخول القبر يبدأ للإنسان عمرٌ جديد!

إن الناس يموتون فعلاً عندما يفقدوا الصلة بربهم، عندئذ يتسافلون ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [2]، يقول غاندي : ((إنك لَتَسْمُلَ عيني فلا تميتني، وإنك لتجدع أنفي فلا تميتني، لكنك إذا انتزعت الإيمان مني فقد قتلتني)) [3] فيكيف بمن يقتل نفسه! إننا أموات بإرادتنا في دنيا عشقناها وتركنا مَنْ أحبنَّا وأرادنا أن نكون عباداً مكرمين، ورد في دعاء كميل : ((إنك تدعوني فأولّي عنك وتتحبَّبَ إلي فأتبغضُ إليك، وتتودد إلي فلا أقبلُ

---

[1] سورة المؤمنون : آية ١٠٠.

[2] سورة التين : آية ٤، ٥ .

[3] الدين الإسلامي بحث في الأصول والمبادئ، ص٢٦٦ السيد علي القبانجي النجفي.

منك، كأنَّ ليَ التَطوّل عليك، ثم لم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسانِ إلي)) [١].

- **التبر والتراب :**

روي أن إعرابياً سأل مولانا أمير المؤمنين لسد حاجته، فأمَر له الإمام بألف، فقال عامل الإمام على بيت المال : أعطيه ألفا من ذهبٍ أو فضة؟ فقال الإمام عليه السلام: كلاهما عندي حَجَرْ، فأعطه ما يسد حاجته!)) [٢].

أما نحن، فمتى يتساوى عندنا التِبْرُ والتراب؟ ! هذه نداءات القرآن، وهذه آياته البينات، وهذه رحمة الله الواسعة هل استفدنا؟ هل نحمد الله حقاً لو كُنّا فقراء لا نملك داراً ولا دينارا؟ هل نكون من الذين صبروا، هل نبحث عن الغنى الذي أراده الله لنا، غنى النفوس، وصفاء القلوب، هل نحاول الإفادة من ألطاف الله وهو يمنحنا ليلة العمر، ليلة خير من ألف شهر؟

تعال معي لنقرأ ...

---

[١] دعاء كميل : مفاتيح الجنان، ص٩٦.

[٢] بحار الأنوار، ج٤١، ص٣٢.

الفصل الأول

الفصل الأوّل
معنى القَدر

القدَر في اللغة، بلوغ الشيء وتمامه، أو كون الشيء مساوياً لغيره من غير زيادة ولا نقصان[١]. ومنه القُدْرة والتَقدْير، والقُدرة هي الاستطاعة والقوة، قال تعالى: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [٢]، أي قادر مستطيع[٣]، والتقدير هو الإستحقاق، نقول وقدَر الله الرزق قَدْرا، أي جعله بِقَدَرْ وهو من المقدار والكميّة[٤]، قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [٥]، وَقدرَ على الشيء قُدْرَةً، أي مَلَكَ فهو قادر. والقَدَرْ ما يُقَدّرُهُ الله من الأمر والقضاء ولذا ورد في الدعاء ((اللهم إني أسألك فيما تقضي وتُقَدِّر من الأمر المحتوم وفي الأمر الحكيم من القضاء الذي لا يُرَدُّ ولا يُبَدَل...)) [٦]، ويُقال، مالي عليه مَقْدرَه، بكسر الدال، أي ليس لي عليه قُدْره واستطاعه، وَقَدَر على الشيء استطاع

---

[١] القرآن وفضائل أهل البيت : الأنديمشكي، ص٥٩٨.

[٢] سورة القمر : آية ٥٥ .

[٣] كتاب العين، مادة (قدر)، ج٣، ص١٤٤٧. الخليل ابن احمد الفراهيدي.

[٤] مختار الصحاح، مادة (قدر)، ص٥٢٣. محمد ابن ابي بكر الرازي.

[٥] سورة الطلاق، آية ٣ .

[٦] من دعاء الافتتاح : مفاتيح الجنان، ص٢٣١.

منه، وَقَدرّ الشيء، أي قَدَّرَهُ من التقدير لمطابقة الشيء للشيء ومنه قَدَرْتُ عليه الثوب (بالتخفيف) أي فصلته عليه، فجاء على مقداره وحجمه.

وقال ابن منظور: القَدْر والقَدَر هو القضاء والحكم، وهو ما يُقَدِّرهُ الله تعالى من القضاء ويحكم به من الأمور[١] قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٢]، والقَدَر والقَدْر واحد إلا أنه بالتسكين مصدر وبالفتح إسم.، روى البرقي في (محاسنه) بأسناده عن محمد بن اسحاق قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام ليونس مولى علي بن يقطين: أو ما تدري ما ((قدر))؟ قال: لا، قال عليه السلام: ((هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء))، ثم قال عليه السلام: ((إنَّ الله إذا شاء شيئاً أراده، وإذا أراده قَدَّرَهُ، وإذا قدره قضاه وإذا قضاه أمضاه)) [٣]، ومن المعلوم أنه لا يوجد شيء خالٍ من الحَدِّ والتقدير سوى الله سبحانه.

والقَدَر بفتح الدال: القضاء الموفق، يُقال قَدَّرَهُ الله تقديراً، وإذا وافق الشيء شيئاً قيل جاء على قدره، أي على

---

[١] لسان العرب، ج٥، ص٧٤. ابن منظور.

[٢] سورة القمر: آية ٤٩ .

[٣] المحاسن، ج١، ص٢٤٤. أحمد بن محمد البرقي.

شكله وحجمه ومطابقاً له، والقَدْر منه المنزلة والرفعة، نقول هذا رجل له قَدْرُهُ أي له منزلته ومكانته، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ (١) أي ما وصفوه حق صفته، وقد وردت الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم بمعان منها : قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾(٢)، أي قضينا وحكمنا، وقوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾(٣)، أي لا يستطيع على شيء، من الاستطاعة، وقوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾(٤)، أي يُضَيِّقُ عليه الرزق بمقدار، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾(٥)، وقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾(٦)، أي فَصَلَّه تفصيلاً بمقدارٍ لا زيادة فيه ولا

---

(١) سورة الأنعام : آية ٩١ .
(٢) سورة الحجر : آية ٦٠.
(٣) سورة النحل : آية ٧٥ .
(٤) سورة الإسراء : آية ٣٠ .
(٥) سورة المؤمنون : آية ١٨ .
(٦) سورة الفرقان : آية ٢.

نُقْصان. وقال تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ [1]، أي أحكمْنا سَيره، وقوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ [2] أي بحجمها ومقدار وعائها، وسيتضحُ فيما بعد في فصول هذا الكتاب إنَّ الإنسان يحظى بعطاءات هذه الليلة المباركة حسب استعداده وما يستطيع أن يستوعب ويستقبل.

---

(1) سورة يس : آية ٣٩٩ .

(2) سورة الرعد : آية ١٧ .

لماذا سُمِيَتْ بليلة القَدْر :

في البدء نعترف بقصورنا عن إدراكٍ كامل لحقيقة ليلةِ القَدْر، يشهدُ بذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[١]، ثم أَنَّ الله تعالى قال : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[٢]، إشارة منه تعالى إلى عظيم شأنها وعلو منزلتها وما تحتويه من أسرار عجيبة، لكن هذا لا يمنع من السعي في البحث لمعرفة بعض أبعادها واكتشاف بعض أسرارها وما يحدث فيها من خلال التَدبَر والتَفكُر فيما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام في شأن هذه الليلة العظيمة، وكذلك ما جاء في كتب التفسير وآراء العلماء. فمن خلال المعنى اللغوي –آنف الذكر– يتبين لنا السبب الذي لأجله سميت به ليلة القدر بهذا الاسم، وذلك لما فيها من جلالة القدر وعظمة الأمر، وقداسة المُنَزَلُ فيها وهذا ما ذكره المفسرون بشأن تسمية الليلة المباركة، فقيل سُميت كذلك لأنها الليلة التي يُحْكُمُ الله ويّقْضي وَيُقَدِّر بما سيكون

(١) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

(٢) سورة القدر : آية ٢ .

في السنة بأجمعها من كل شأن من شؤون العباد فهي ليلة التقدير، يقدر الله فيها مقادير الأمور وما يخص العباد، وما قدر الله تعالى وقضى من المقادير كالأرزاق والآجال وما في الأرحام وغير ذلك مما يكتبه الله تعالى ويقدره وما يلقاه الإنسان من خير وشر وعافية وبلاء وما يكون للسنة القابلة حتى وفد الحاج، فعن عبد الله ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام : ((قال يُكْتَبُ في أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من خير وشر وكذا الارزاق والآجال حتى وفد الحجاج يقال : يحج فلان وفلان))[١]، وقال مجاهد وقتاده : ((يُبْرَمُ في ليلة القدر كلُ أَجَلٍ وَعَمَل وَخَلف ورزق وما يكون في تلك السنة)) [٢]، وقالوا : أنها مأخوذة من عظم القدر والشرف والشأن كما تقول : ((فلان له قدر)) [٣]، قال تعالى : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ** ﴾[٤]، وقال بعض الإعلام ((إنما سُميت كذلك لأنها تكسِبُ مَنْ أحياها قَدْراً جليلاً لم يكن له من قبل وتزيده عند

---

[١] مفاتيح الجنان : أعمال ليلة القدر، ص٢٥٨.

[٢] فضائل الأوقات للبيهقي، ص٢١٣.

[٣] تفسير البغوي، ج٨، ص٤٨٥ .

[٤] سورة الأنعام : آية ٩١ .

الله شرفاً))، كما ورد في بعض الأخبار أنها سميت بهذا الاسم لأن الله تعالى يقضي وَيُقدِّر أمراً من عنده على ما يخُصُ شؤون العباد وما يكون لهم من حياة وموت وسعادة وشقاء وصحة ومرض وسِلْم وحرب ويفيد في هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[1] أو لأنها الليلة التي تشرفت بنزول القرآن فيها وهو كتاب ذو قدر كبير، كما ورد في بعض كتب التفاسير أنها سُميت بليلة القدر، لأن الملائكة تَنْزل بأمر الله تعالى إلى الأرض حتى تضيق بهم لكثرتهم فالقدر هنا بمعنى الضيق، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾[2] أي ضاق عليه، ومن هنا نرى أن ثَمَّةَ أمور وأحداث تجري في هذه الليلة هي من عند الله فيما يقضي وَيُقَدّر من الأمر المحتوم الذي لا يُرَدُّ ولا يُبَدَّل إلا بما شاء الله تعالى، واستحقاق كل عبدٍ من عباده، وقد تجري ((قاعدة البداء))[3] وفق مشيئة الله منسجمة مع توجه الإنسان واستعداده والتي سنتحدث عنها لاحقاً.

---

(1) سورة الدخان : آية ٤ .

(2) سورة الطلاق : آية ٧ .

(3) سيأتي الحديث عن البداء.

كيف يكون الإستعداد؟

١-تأديب النفس :

النفس، وما أدراك ما النفس، مصدر الشرور والآثام إذا أنحرفتْ، ومصدر الخير والسرور إذا استقامتْ، وهي بين الخير والشر تتأرجح وترافقها الرغبة والشهوة، وإذا أراد الإنسان كبح جماحها استعصتْ عليه إلا ما رَحِم رَبّي، ولها كذلك تداعيات أخرى كطول الأمل وأتباع الهوى، وطبيعتها السوء والعصيان والخداع وهي أشبه حالاً بالدنيا، لذا ذكرها القرآن كثيراً وأشارت أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وروايات وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في ضرورة تهذيبها وتأديبها وزجرها وعدم إعطاؤها كل ما تريد وتشتهي، يقول الإمام علي عليه السلام في مناجاته المنظومة:

إلهي لَئِن أعطيتُ نفسي سُؤْلَها   فها أنا في رَوْضِ النَدامةِ أرتَعُ[1]

---

[1] المناجاة المنظومة : مفاتيح الجنان، ص١٨٦ ، الشيخ عباس القمي.

وقد ورد ذكر فعلها المُشين في كتاب الله العزيز، وما تؤدي إليه من شرور، قال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [1]، إشارة منه تعالى إلى إقدام إخوة يوسف على ما ارتكبوه بحق أخيهم وما كان يعتمل في نفوسهم من حسد له. فالنفس تدعو إلى ما لا يجوز في العقل –في أغلب حالاتها– ولن ينكشف خداعها إلا بعد حين، وهذا مكمن الخطورة فيها.

إن من أبرز الصفات في سيرة أكابر العلماء وعلى مر التأريخ، هي اتهامهم لأنفسهم والإكثار من وعظها وزجرها وتوبيخها حتى لا تأخذهم إلى ما لا يُحْمَدُ عُقباه، وهذا لا يعني أَنَّ أنفسهم كانت غير صالحة، بل أرادوا غلق كل منفذ للأهواء والشهوات من خلال دوام الزجر لها والتعنيف والمخالفة، وقد ورد أَنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو في كل يوم بهذا الدعاء: ((اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين فأهلك))، إن مجاهدة النفس هي من أشد الواجبات وأثقلها على الإنسان، لأن المغريات

---

[1] سورة يوسف: آية ١٨.

التي تميل إليها بطبعها كثيرة، والشيطان بالمرصاد، وسلطان الهوى عنيف، لذا نرى اليوم أن أكثر الذين أَثَّروا فينا وتركوا دروساً رائعة في الحياة، كانوا من الذين لم يخضعوا لإمنيات نفوسهم الدنيوية، فكان سر العظمة فيهم مخالفة هوى النفس، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((إنما هي نفسي أروضها لتأتي آمنةً يوم الفزع)) [1] فإذا كان هذا هو شأن علي بن أبي طالب فكيف بنا! فليعلم الإنسان إنَّ ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [2] وكما قال مولانا أمير المؤمنين، سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها[3]. قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام : ((يابن أدم! نفسك نفسك، فإنما هي نفس واحدة، إِنْ نَجَتْ نجوت، وإِنْ هلكت لم ينفعك نجاة من نجا)) [4]، والإسلام حين دعا إلى ضرورة ضبط النفس ومراقبتها بالمجاهدة والتحذير، ولم يدعُ في الوقت نفسه إلى الكبت فإن للإنسان رغبات مشروعة تأتي في إطار النظام الاجتماعي وقوانينه المانعة

---

[1] من خطب نهج البلاغة لمولانا أمير المؤمنين.

[2] سورة ق : آية ٢١ .

[3] نهج البلاغة، ص١٦٦ .

[4] إرشاد القلوب، ص٤٢ . للديلمي.

من إرتكاب الفواحش، وكذلك في إطار الضوابط التي تحمي المجتمع من التحلل والإنفلات وتحفظ كرامة ومشاعر الآخرين. والمشكلة الأدهى أنَّ كثيراً من الناس اليوم يَدَّعُونَ الكمال لأنفسهم ولا يلتفتون إلى عيوبها وفي الوقت ذاته تراهم ينتقدون الآخرين أشد إنتقاد! يقول أحد الشعراء مخاطباً هؤلاء :

أهملْتَ نَفْسَكَ في هَواكَ وَلُمتَني   لو كُنْتَ تنصِفُ لُمْتَ نَفْسَكَ دُوني
ما بالُ عينَكَ لا ترى أَقذائِها   وَتَرى الخفي من القَذى بجفوني؟[١]

فمحاسبة النفس أولى بالإنسان من الالتفات إلى غيره وترك نفسه! قال رسول الله ﷺ : لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه؟ ومن أين مشربه؟ ومن أين ملبسه؟ أَمِنْ حِلٍّ كان ذلك أَمْ مِن حرام) [٢]. قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[٣]، فالخوف من الله تعالى ومراقبة النفس وزجرها،

---

(١) تهذيب النفس، ج١، ص٨٧. الشيخ أحمد الحائري.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٨٦. الشيخ المجلسي.

(٣) سورة النازعات : آية ٤٠-٤١.

أمران كفيلان بنجاة الإنسان والفوز برضا الله تعالى وإذا رضي الله تعالى من عبده وفقه لكل خير. عن الإمام الصادق عليه السلام: ((طوبى لعبد جاهد لله نفسه وهواه، ومن هزمَ جُنْدَ هواه فقد ظفر برضى الله)) [١] وقد أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: ((يا أبن مريم عظْ نفسك فإنْ اتعظْتَ فَعِظ الناس وإلا فأستحي مني)) [٢] وعن طلحة قال: ((إنطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وكان يقول لنفسه، ذوقي وعذاب جهنم أشَدُ حَرّا، أجيفة بالليل وبطالة في النهار، قال فبينا هو كذلك إذ بصر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ظل شجرة فأتاه فقال غَلَبتْني نفسي يا رسول الله، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لقد فِتُحَتْ لك أبواب السماء وباهى الله عَزَّ وجل بك الملائكة ثم قال لأصحابه، تزودوا من أخيكم)) [٣]

أقولُ إنَّ أول الاستعداد للعبادة هو تزكية هذه النفس وترويضها يوماً بيوم بل ساعة بساعة، فأن النفس جُبِلَتْ على حُب الدنيا وحب مطاوعة السهل من السلوك، ولذا

---

[١] بحار الأنوار، ج٧٠، ص٦٩. الشيخ المجلسي.

[٢] محاضرات في المعارف الإسلامية، ص٢٧١. السيد مرتضى الميلاني.

[٣] القلب السليم، ج٢، ص٧٣. الشهيد دستغيب.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[١].

وإذا خَلُصَتْ من أردانها يمكن لها أن تنال التوفيق لإحياء ليلة القدر والفوز ببركاتها.

٢-القراءة المستمرة :

لقد افتتح الله تعالى كتابه الكريم بأعظم كلمة أودعها في مسامع نبيه الكريم، ولو كانت هناك كلمة أغلى وأعلى منها لذكرها، إنها نعمة القراءة، فخاطب نبيه الكريم بهذه الآية الكريمة : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[٢].

إن كل نفس في بدء الخلقة تكون خاليه من المَلَكات، وإنما تتحقق كل مَلَكة، بتكرر الأفعال، فالنفوس في بدء الخلقة والفطرة صحائف بيضاء خالية، فتستقبل كل صورة وفكرة ونقش بسهولة، وإذا استحكمتْ فيها فكرة المعرفة تَعَسَّرَ قبول ضدها، وشيئاً فشيئاً ينمو العلم ويبدأ تأثيره

---

[١] سورة يوسف : آية ٥٣.

[٢] سورة العلق : آية ١-٥.

الرائع في الإنسان. إن القراءة والمعرفة ضرورة لا غنى عنها لكل مَنْ أراد أن يُحيي قلبه، فإنَّ حياة القلوب بالموعظة، والقراءة كشفٌ وأرتقاء وبناء للذات يضيف بها الإنسان لنفسه رصيداً معرفياً رائعاً ومهماً، وإن الكتاب الذي تقرأه إنما هو عقلٌ يُضاف إلى عقلك، لتصبح للإنسان شخصية ايجابية مؤثرة لا تنفعل لكل طارئ عليها، بل تبقى متوازنة في مواجهة وادراك واستيعاب ما يحدث أمامها بتأمل وثقة عالية بالنفس.

إن القراءة الواعية هي انتقال من حالة الجهل بالأشياء والحقائق إلى حالة العلم والإلمام بها، وكما أنَّ الناس أعداء ما جهلوا، فبالعلم يرتفع حجاب الجهل وتحصل معرفة حقائق الأشياء وينتج عنها ثمرة الألفة والإنسجام والإنجذاب كما يحصل تماماً في العلاقات الاجتماعية اليوم بين الناس، فكلما تتكرر زيارة شخص إلى آخر ينتج عنها إرتقاء بالعلاقة يوماً بعد يوم نتيجة تزايد المعرفة التدريجية بينهما، بحيث يصل الأمر أن يتعودا اللقاء كل يوم، وإن حصل إنقطاع يستوحشان، فكذلك هي علاقة الإنسان والكتاب بشكل عام، وبينه وبين القرآن بشكل خاص،

فالقراءة الواعية المستمرة تُورث هذه الألفة، وما أحوجنا اليوم إلى القراءة والمعرفة، وما أحوج شبابنا في هذا الوقت بالذات إلى القراءة وطلب العلم حيث المعرفة هي نور يؤدي إلى كل خير، والجهل ضلال وظلام، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((ما خُلِقْتُ ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة هَمُّها علفها أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها وتلهو عما يُراد بها)) [1]، فكلام الإمام ينبهنا إلى حقيقة التكليف الإلهي للإنسان في هذه الدنيا، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [2]، ولا يمكن أن ترتقي العبادة بالإنسان إلا بالمعرفة، فمثلاً نلاحظ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتَةً جاهلية، فكيف نعرف إمام زماننا ولم نقرأ عنه كتاباً ولم نحضر درساً أو نستمع إلى حديث عنه!!.

إن الإسلام فَضَّلَ مِدادُ العلماء على دماء الشهداء، مع ما مُيِّز الله الشهداء برفيع الدرجات، لكن يبقى مداد العلماء هو الراجح في الميزان، قال الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة، ص٤١٨. الدكتور صبحي الصالح.

(٢) سورة الذاريات : آية ٥٦ .

((إذا كان يوم القيامة، جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد ووُضِعَتْ الموازين، فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء)) [١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : ((أن ركعتان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل، لأن العالم تأتيه الفتنة فيخرج منها بعلمه، وتأتي الجاهل فتنسفه نسفاً)) [٢].

فواضح جداً أثر القراءة وطلب العلوم الشريفة التي تأخذ بيد الإنسان إلى الصلاح والتقوى، أما النفس الفقيرة بعلمها ومعرفتها فلا يمكن لها الارتقاء الصحيح فتبقى بعيدة عن التدّين الواعي، كما أنها تفتقر إلى أيسر وأبسط المعلومات بقضايا الحياة بشكل عام وقضايا الإسلام بشكل خاص ومنها المعرفة الحقيقية لعظمة ليلة القدر المباركة وما يجب العمل فيها والفوز بعطاء الله الواسع فيها.

---

[١] بحار الأنوار، ج٢، ص١٤. العلامة المجلسي.

[٢] بحار الأنوار، ج١، ص٢٠٨. العلامة المجلسي.

٣-بر الوالدين :

لا أعتقد أبداً، أن أحداً من الناس يُوَفَّقُ لإحياء ليلة القدر والفوز بها وهو عاق لوالديه، إن عقوق الوالدين يسلب التوفيق وينذر بقصر العمر ويترك الإنسان يتخبط في طرقات الاحباط والفشل، قال رسول الله ﷺ : ((من أصبح مُرْضِياً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة))[١]. وقال ﷺ : ((من أصبح مسخطاً لأبويه، أصبح له بابان مفتوحان إلى النار)) [٢]. وقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ : ((كل المسلمين يرَوَني يوم القيامة إلا عاق الوالدين، وشارب الخمر، ومن سمع إسمي ولم يصل علي)) [٣]، وقد قرن الله طاعته برضى الوالدين، قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [٤].

---

[١] الأخلاق والآداب الإسلامية، ص١١٦. عبد الله الهاشمي.

[٢] المصدر نفسه، ص١١٦.

[٣] المصدر نفسه، ص١١٧. عن جامع السعادات .

[٤] سورة الأسراء : آية ٢٣ .

٤-حسن الخلق :

الخلق بضم اللام وسكونها هو الدين والسجية والطبع، وهو الملكة النفسانية التي تصدر عنها الأفعال، ومنها الأفعال الممدوحة كالعفة والحياء والكرم والشجاعة، ومنها المذمومة كالخيانة والجبن وقول الفحش، وحسن الخلق هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، والكلمة الطيبة، والعفو والتسامح، وهو صفة سيد الأنبياء والمرسلين حيث وصفه الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [١]، والآية ناظرة إلى أخلاقه الجميلة بين الناس وهو ﷺ يقول : ((إنما بُعثتُ لإتممَ مكارم الأخلاق))، وبالأخلاق الفاضلة يسمو الإنسان ويسود،. والدين بلا شك هو الأخلاق أولاً وقبل كل شيء، وأن حصول العناية الإلهية للإنسان موقوف على جملة من العوامل أهمها الصفات الأخلاقية التي يتحلى بها الإنسان، وأفضل مدرسة يمكن للإنسان الاكتساب منها هي مدرسة القرآن الكريم وسيرة النبي الأكرم وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) قال رسول الله (ﷺ): ((ما مِن شيء يُوَضعُ في

---

[١] سورة القلم، آية : ٤ .

الميزان أثقلُ من حسن الخلق وإنّ صاحب الخلق الحسن ليبلغ به درجة صاحب الصلاة والصوم)) [١].

وبالمقابل فإنَّ الأخلاق السيئة هي سُمومٌ قاتلة تنفّرُ الناس وتخدش الحياء، وصاحبها أبعد ما يكون عن الله تعالى وعنايته ورحمته، ومن هنا فإنه لا يَنال التوفيق للعبادة والإقبال عليها بشكل عام، ومن ثمَّ لن يكون قريباً من أجواء ليلة القدر المباركة بعكس صاحب الخلق الكريم الطيّب الذي يوفقه الله تعالى لكل خير.

انتظار ليلة القدر:

إن الذين يعرفون ليلة القدر حقاً، يتطلعون إليها شوقاً، وينتظرون قدومها ليجددوا اللقاء، وَيُحَلِّقوا في أجوائها الرحبة الواسعة، لتنشرح صدورهم بنفحات مباركة، لما تحمل هذه الليلة من خير وبركة وسلام. فَمَنْ عرف قدرها إستعد لها وتهيأ وتعبأ، ولا بد من المعرفة ليحصل بعدها العمل، والمعرفة هي قدرة الإنسان على استيعاب وإدراك ما يدور حوله من حقائق ووقائع عن طريق العقل أو بطريقة

[١] تفسير القرطبي ج١٢ ص٢٢٨/ للقرطبي.

الاكتساب، وبتعبير آخر فأنَّ المعرفة هي حصيلة الامتزاج بين المعلومة والمدركات الحسية، فهي مفهوم شامل وعام بكل ما يحيط الإنسان من أحكام وتصورات في مختلف نواحي الحياة، قال رسول الله ﷺ : ((أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة)) [(١)]، وعنه ﷺ : ((بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر صياماً من بعض، وبعضكم أكثر حجاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة من بعض، وأفضلكم، أفضلكم معرفة))[(٢)]. ولا يقبل الله عملاً إلا بنية خالصة صادقة، ومعرفة واعية، قال الإمام الباقر عليه السلام : ((لا يُقْبَلُ عملٌ إلاّ بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، وَمَنْ عرف دَلَّته معرفته على العمل، ومَنْ لم يعرف فلا عمل له))[(٣)]، لذا كان لزاماً على الإنسان أن يتطهر ويتهيأ لاستقبال أعظم ليلة في الوجود، فالدعاء والتوسل من أساسيات العبادة في هذه الليلة المباركة، حيث يعرض الإنسان المؤمن حاجاته على الله ويضعها بين يديه تعالى، ومن شأنه جلّت قدرته ان يُغَير مجرى حياة الإنسان إلى

---

(١) محاضرات في المعارف الإسلامية، ج٢، ص٣٧٩. السيد مرتضى الميلاني.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ميزان الحكمة، ج٦، ص١٣٠. محمد الري شهري.

غير حال، أنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وهو ولي الذين أخلصوا له وتوكلوا عليه. ولو أنَّ الإنسان إتقى ربه وخاف ذنبه، وعمل لما بعد الموت بعبادة صادقه واعية ومعرفة بيقين لوجد لذة الوصال والقرب، وعندئذ لا يهمه كيف أصبح وأمسى فالوصال يختزل الطريق أمامه وقربه من الله تعالى هي تجارته التي لا تبور، قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [١].

إن المتقين عشقوا العبادة حتى باشروها بأبدان خفيفة ونفوس مطمأنه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((استَقْصَرُوا الدنيا فَزَهدوا فيها، واستبَطأوا الآخرة فَسَعَوا اليها))[٢]. فأمثال هؤلاء كل أيامهم هي شهر رمضان وكل ليلهم هو ليلة قدر، لذا ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام : إن الناس سألوه عن ليلة القدر، فقام خطيباً وقال : ((أعلموا أيها الناس أنه مَنْ ورد عليه شهر رمضان وهو صحيح سوي فصام نهاره وقام وِرْداً من

---

[١] سورة النور : آية ٣٧ .

[٢] خطبة المتقين : نهج البلاغة .

ليله وواظب على صلاته وهَجَرَ إلى جمعته وغدا إلى عيده، فقد أدرك ليلة القدر)) [١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ((أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبها بقلبه وباشرها بجسده وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على يُسْرٍ أمْ عُسْر))[٢].

هل هي ليلة معلومة؟

مما لا شك فيه انها بعلم الله ليلة معلومة، وهذا الأمر من البداهة لا يحتاج معه إلى دليل، لأن الله تعالى هو مَنْ أوجدها وعينَّها، وهو عالم الغيب والشهادة، قال تعالى : ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[٣]. لكنه تعالى أخفاها عن عباده وهو الحكيم الخبير، وما من شيء قدَّره الله تعالى وقضاه إلا وفيه حكمة لعباده، فإخفاء هذه الليلة وحصرها بالعشر الأواخر من شهر رمضان

---

(١) وسائل الشيعة، الباب ١٨، ص٤٣٨. للعاملي.

(٢) الكافي، ج٢، ص٨٣. الشيخ الكليني.

(٣) سورة سبأ : آية ٣ .

المبارك، أمر يحتاج إلى تأمل وتدبر. وقد وَرَدَ عن النبي الأكرم ﷺ قوله لما سُئِلَ عن ليلة القدر، قال: ((تَحرَّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان)) [1]. وكان ﷺ يعتزل نسائه في هذه العشر الأواخر ويتفرغ للعبادة حتى يحيى ليله كله، فمن أراد أن يصيب أجر هذه الليلة وفضلها وثوابها فليعمل بما كان عليه رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَّكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [2].

ولعل النبي الأكرم ﷺ يعرفها حقاً كما جاء في بعض الروايات وكما هو متوقع كذلك، لكنه أراد لنا أن نتبع أثره في العبادة والبحث عن هذه الليلة المباركة طلباً لزيادة الأجر ولأسباب أخرى سيأتي بيانها إن شاء الله. فهنالك أكثر من رأي في بيان العلة من عدم تعيينها وتشخيصها بليلة معلومة للناس.

الرأي الأول:

لعل الله تعالى أخفاها لعظمتها واكتفى بالإشارة إليها حاثاً العباد للبحث عنها من بين العشر الأواخر من شهر

(1) رواه البخاري في صحيحه حديث رقم ١٩١٧.

(2) سورة الأحزاب: آية ٢١.

رمضان المبارك، حيث تستحق البحث والعناء وما أيسر هذه الليالي القصيرة على الإنسان المؤمن. فعن طريق الخاصّة ما رواه ابن بابويه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل العشر الأواخر شد المئزر واجتنب النساء وأحيا الليل وتفرغ للعبادة)) [١] وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : ((إلتمسوها في العشر الأواخر)) [٢].

وروي عن أبي بصير أنه قال للإمام الصادق عليه السلام : ما الليلة التي يُرْجى فيها ما يُرْجى؟

فقال عليه السلام : ((في ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين)).

قال : فإن لم أقوَ على كلتيهما؟

فقال عليه السلام : ((ما أيسر ليلتين فيما تطلب)) [٣].

وروي عن زراره أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام عن ليلة القدر فقال : ((هي ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين))، قال : أليس إنما هي ليلة؟، قال : بلى، قال :

---

(١) منتهى المطلب، ص٦٢٥. العلامة حسن بن يوسف الحلي.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الكافي، ج١، ص٢٠٦. الكليني.

فأخبرني بها؟، قال عليه السلام : ((ما عليك أن تفعل خيراً في ليلتين)) [1].

الرأي الثاني :

إن ليلة القدر، لو تأملنا فيها لوجدنا أنها الليلة التي ما خلق الله تعالى ليلة مثلها في الوجود، وقد وصفها بأنها الليلة المباركة، قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[2]، فهذا أول وصف لها ثم قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾[3]، وهذا الاستفهام لعظيم شأنها، ثم قال تعالى : ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[4] وهذا وصف أخر لها، أي أن العبادة فيها خير من العبادة والدعاء في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وهذا بيان إجمالي لما أشير إليه بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾[5]، من فخامة وعظم أمر هذه الليلة وقدرها ثم قال تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) سورة الدخان : آية ٣ .

(٣) سورة القدر : آية ٢ .

(٤) سورة القدر : آية ٣ .

(٥) سورة القدر : آية ٢ .

﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾[1]، وكما جاء في تفسير السيد الطباطبائي في الميزان قوله : تنزل أصله تتنزل، والظاهر من الروح هو الروح الذي من الأمر، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[2]، والأذن في الشيء الرخصة، أي إعلام عن عدم المانع من نزول الملائكة في هذه الليلة والذي سنتكلم عنه لاحقاً، ثم وصفها الله تعالى بأنها ليلة السلام، قال تعالى ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[3]، والسلام من معاني السلامة، أي أنها ليلة خالصة البركة خالية من الآفات الظاهرة والباطنة فيكون قوله تعالى ((سلام هي)) إشارة إلى العناية الإلهية بتمام الرحمة للعباد فيها.

ثم أن هذه الليلة وقعت زماناً في أفضل شهر إختاره الله لعباده ألا وهو شهر رمضان المبارك حيث جاء في خطبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : ((أيها الناس أنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته

---

(١) سورة القدر : آية ٣، ٤ .

(٢) سورة الاسراء : آية ٨٥ .

(٣) سورة القدر : آية ٥ .

أفضل الساعات)) [1] ثم أنَّ الله تعالى جعل فيها نزول القرآن الكريم على قلب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهذا تشريف لها على ما بها من الشرف والعظمة والبركة.، ولا يخفى أن القرآن هو أشرف الكتب السماوية وأقدسها وكذلك هو آخر الكتب التي نزلت إلى البشرية وعلى أشرف الأنبياء والمرسلين والخاتم لمسيرة الأنبياء جميعاً. وكما أنَّ الله تعالى قد أمتحن الأمة بولاية أهل البيت عليهم السلام كذلك امتحن الأمة بهذه الليلة وكيف يكون استعداد الناس لإحياء هذه الليلة والعناق لها والوصل من خلالها برب الأرباب ومسبب الأسباب وباعث الحياة وملهم كل شيء ومقدره.

فليلة القدر هي ليلة لقاء العباد برب العباد، فالأبواب مفتوحة والشياطين مغلولة والله بالمنظر الأعلى يسمع ويرى.

يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في وصف الشهر المبارك ((هو شهرٌ دُعيتم فيه إلى ضيافة الله وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مُستجاب))، فليلة القدر هي ليلة

[1] من خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في استقبال شهر رمضان.

الدعاء والرجوع إلى الله تعالى، وقد جعل الشياطين في هذا الشهر مغلولة لكي لا يبقى لابن آدم من عذر في الإنشغال عنها واللهو بغيرها، ليلة خيرٌ من ألف شهر ليس فيها هذه الليلة، هذا يعني انها اختزلت بفضلها وخيرها وشرفها وأسرارها ألف شهر، عمر بكامله، بسنينه وشهوره وأيامه وساعاته.

ثم جعل الله تعالى مقابل هذا العطاء العظيم والجسيم، أمراً واحداً لا غير، كَلَّف به العباد الا وهو البحث عن هذه الليلة في العشر الأواخر من الشهر الكريم لإحيائها بالعبادة وإعلان التوبة فيها إلى الله والإخلاص له بالتفرغ والدعاء والتوسل، وما أيسر الأمر على المشتاقين وما أصعبه على الغافلين.

هل ثمة غافل عنها؟

لو طرحنا السؤال التالي : هل يوجد من يفرط بهذه الليلة ولا يهتم بها ولا يستعد لها؟ والجواب نعم، بل كثير من الناس غير مهتمين بها، منشغلين عنها!، لكن نقول

هل ثمة سبب لهذا الإعراض عنها وعدم الإلتفات إلى بركاتها وأسرارها؟، نعم، والأسباب كثيرة، منها :

١- طبيعة النفس الإنسانية :

إن النفس الإنسانية تجنح دوماً إلى حب اللذائذ والشهوات وتصوّر للإنسان رُؤىً واهية تُمنّيه فيها بعيداً عن مشاورة العقل لها، بل أنها تُغَيِّبُ العقل تماماً في أحيانٍ كثيرة وعندئذٍ لا تكترث هذه النفس للحماقات التي ترتكبها إلا بعد حين! والعقل هو النور الذي يميز به الإنسان الرُشْدَ من الغَي والخير من الشر، أما النفس فهي القوة التي تعمل على تضليل الصورة وتداخل أبعادها كي ينطفئ ذلك النور الباطني الذي يرى به الإنسان طريق الصواب، وهكذا هي طبيعة النفس، السوء والتمرد والعصيان وهي مصدر الشرور والآثام إلا ما رحِمَ ربّي وهذا يحتاج إلى تعنيفٍ لها وتأديب. قال رسول الله ﷺ: ((أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)) [1] وقال : ((ميدانكم الأول أنفسكم، إنْ قَدِرْتُم

---

[1] بحار الأنوار، ج٦٧، ص٦٤. الشيخ المجلسي.

عليها فأنتم على غيرها أقدر، وإنْ عجزتم عنها فأنتم على غيرها أعجز)) [١].

لهذا نرى اليوم أنَّ علماء الأخلاق يركزون كثيراً على ضرورة مراقبة النفس وتهذيبها لكي تنطلق وتتحرر الروح من القيود المادية والشهوية والتي هي من آثار هذه النفس، بل أنَّ الله تبارك وتعالى جعل شرط تغيير وانقلاب الأحوال تجاه عباده هو هذه النفس، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٢]. وقال ﷺ: ((أعرَفَكُم بنفسه أعرفكم بربه))[٣]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))[٤]، ولهذا كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يحث المسلمين على مجاهدة النفس وكبح جماحها وعدم الإستجابة لشهواتها، ومراقبتها كعدو يجب الحذر منه لئلا يفتك بالإنسان ويوصي النبي الأكرم ﷺ بضرورة ترويضها على فعل الخير وسبل المعروف والإبتعاد عن

---

(١) الخصال، ج١، عن بحار الأنوار، ج٦٧، ص٦٤. الشيخ المجلسي.

(٢) سورة الرعد : آية ١١ .

(٣) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٨٧٨. محمد الري شهري.

(٤) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٨٧٨. محمد الري شهري.

مصادر الجذب لها كالأهواء والمفاسد التي لا تفتأ اليوم تلازم واقع الإنسان أينما حل وحيثما ارتحل.

إن مجاهدة الإنسان نفسه هي أشد الواجبات وأثقلها عليه، لأن سلطان الشهوة والهوى عنيف لا يقاوم، حيث للعين شهوتها وللأذن شهوتها وكذلك البطن والفرج، يقول الشاعر :

إنــي بُليــت بــأربَعٍ ما سُلِّطُوا إِلَّا لأجلِ مصيبةٍ وبلاءِ

ابليسُ والدنيا ونفسي والهوى كيفَ الخَلاص وكلهم أعدائي[1]

وبجهاد الإنسان لنفسه يفوز بالدرجات العالية وبرضا الله تعالى في الدارين، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((جهاد النفس مهر الجنة)) [2]، وقال أيضاً: ((المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله)) [3]، لهذا فمَنْ لم يعصم نفسه، فأنها تُبعده عن ذكر الله وتُنسيه لذة العبادة لاسيّما في شهر العبادة وفي ليلة العبادة (ليلة القدر) فتضعف همته وتوهن قوته وتوهمه بأنَّ النوم أفضل أو اللهو أجمل، فيمضي الوقت هباءً حتى مطلع الفجر!! وعندئذ يكون الإنسان من

---

[1] الشاعر الغيهبان المري، كتب التراث القديم.

[2] قصار الحكم، نهج البلاغة، وميزان الحكمة، الحديثة ٢٧٢٧.

[3] المصدر نفسه.

المحرومين ومن المفلسين لا يُقَدَّر له في هذه الليلة إلا الخُسران المبين.

المقدمات العبادية :

ليست العبادة برنامجاً نؤديه من صلاة ودعاء وقراءة قرآن ورفع المصاحف، وتنتهي الليلة ويحصل المطلوب، كلا، إن العبادة لا تكون عبادة حقه إلا إذا وجد الإنسان أثراً لها في قلبه وطريقاً يفضي إليه لكي يحظى بالأنس بذكر الله تعالى ومناجاته، ولأهمية شهر رمضان الكريم في حياة الإنسان المؤمن حيث يكون في ضيافة الله، ولأهمية ليلة القدر بشكل خاص، ومن ألطاف الله ورحمته وعنايته بعباده، جعل تعالى مقدمات عبادية إذا التفت إليها الإنسان أمكنه الإلتفات إلى ليلة القدر المباركة، ولكل عمل تمهيد أو مقدمة ومن هذه المقدمات العبادية :

١- شهر رجب وشهر شعبان، فقد جعلهما الله تعالى تمهيداً رائعاً للإستعداد إلى شهر رمضان الكريم، وقد حث رسول الله ﷺ على الانشغال بالعبادة في هذين الشهرين العظيمين وكذلك صوم بعض أيامهما، فقد ورد

أن شهر رجب وشعبان هي أشهر متناهية الشرف والأحاديث في فضلهما كثيرة، بل روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال : ((أنَّ رجب شهر الله الأعظم وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي، ألا فَمَنْ صام يوماً من رجب استوجب رضوان الله وأغلق عنه باب من أبواب النار، وهو شهر الاستغفار لأمتي، فاكثروا فيه الدعاء والاستغفار، فان الله غفور رحيم، ويسمى الأَصَبْ لأنَّ الرحمة فيه تُصَبُّ على أمتي صَبّاً)) [١].

---

[١] فضل شهر رجب، مفاتيح الجنان، ص١٤٣.

٢- شهر شعبان : هو شهر شريف منسوب إلى رسول الله ﷺ وكان يصومه ويصل صيامه بشهر رمضان وكان يقول ((شعبان شهري ومن صام يوماً من شهري وَجَبَتْ له الجنة)) [١]، ففي الحث والترغيب هذا إشارة مهمة على أنَّ الاستعداد لشهر رمضان إنما يبدأ من هنا، من هذه الأشهر الشريفة، ولذا دأب الأئمة الأطهار عليهم السلام على صوم هذين الشهرين الكريمين والأخبار كثيرة في ذلك، ويُقال إنما سُمّي شعبان لتشعب الخيرات فيه وقد ورد في الدعاء المأثور عن الإمام زين العابدين والذي كان يقرأه عند زوال كل يوم من أيام شهر شعبان : ((وهذا شهر نبيك سيد رسلك شعبان الذي حَفَفْتَهُ منك بالرحمة والرضوان الذي كان فيه رسول الله يَدْأَبُ لك في صيامه وقيامه)) [٢].

---

[١] فضل شهر شعبان، مفاتيح الجنان، ص١٦٦.

[٢] الصلوات المروية عن الإمام السجاد، مفاتيح الجنان، ص١٦٨.

إخفاء ليلة القدر والحكمة الإلهية :

إن الله حكيم لا يصدر عنه إلا الأمر الحكيم، فإخفاء ليلة القدر وعدم تعيينها بليلة معلومة يكون أعظم شأناً للعباد،! فقد أشار الله إليها إشارة، ويالَها من إشارة، أن الأمر العزيز أو الشيء العزيز مفقود وهو موجود، فيكون مفقوداً لمن لا يعرف له معنى ولا قيمة وهو موجود لمن يبحث عنه باشتياق العارف لِكنْهِهِ وقيمته وتارة يبحث الناس عن مفقود بلا اهتمام كثير، إما لجهلٍ في معرفة الفاقد لقيمة المفقود وعندئذ لا يكترث كثيراً لوجوده أو بقاؤه مفقوداً، أو لزهده فيه وكلاهما نقص في المعرفة، إنَّ الله تعالى أخفى أولياءه في أضعف خلقه وأخفى رضاه في قليل من الطاعة أو العمل وهو بذلك يريد للعباد أن يلتفتوا لفلسفة التعامل الإلهي مع العباد. وهذه هي سُنَن الله تعالى في خلقه، وهكذا تمضي مشيئة الله في عباده من الأنبياء والمرسلين والعارفين وعامة الناس، ليحتاج الجميع إلى مراقبة أنفسهم وحتى لا يأمن مكر الله أحداً. إن الله تعالى إنْ أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون لكن هذه المشيئة لا

تجرى إلا بما تقتضيه المصلحة العليا، بما ينفع الخلق لجلب خير أو دفع شر فهو تعالى حين خلق الخلق أوكَلَ إليهم التكليف بعد أن منحهم العقل والإرادة في الاختيار، وجعل الإنسان في مضمار السباق والصراع بين نفس أمارة بالسوء وبين روح تحاول التحرر من قيود هذه النفس وتأثيراتها السلبية الكثيرة، وتنفعل بأمواج صفائها لينبعث ما فيها من نور، هذا النور هو الذي يجعلها تسلك الطريق لتصل إلى المعرفة، لاسيما معرفة علة هذا الإخفاء. ولا زال الإنسان قادراً على تأمين حرم القلب من خداع هذه النفس ليتحصن بحصن منيع من الإنزلاق في درجات التسافل والضياع، قال تعالى : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾[١].

روى الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن جده أمير المؤمنين أنه قال : ((المؤمن يتقلب في خمسة أنوار، مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومنظره يوم القيامة نور)) [٢]، وإلى هذه الحقيقة أشار

---

[١] سورة الشمس : آية ٧-٨.

[٢] الخصال، ج١، ص٢٢٧. الشيخ الصدوق.

القرآن الكريم : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [1] فهذ النورية لا تأتي صدفة ولا تقع في قلب بتأثير طارئ ثم تنطفئ، إنها نتاج بحث عميق ومراقبة شديدة ومحاولات عديدة للتخلي ثم التحلي ثم الإشراق واليقين، وكما ذكرنا في الصفحات التي مضت ان العبادة لها مراتب طولية بعضها فوق بعض لذا قال تعالى :

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[2].

ولعظم ليلة القدر المباركة وما تحتويه من أسرار عظيمة، لم يجعل الله الوصول إليها إلا لِمَنْ جَدَّ واجتهد وهذا لا ينافي الرحمة الإلهية، فقد منحهم عطاء هذه الليلة العظيمة وأراد أن ينظر إلى مدى استعدادهم اليها، ليعطي من هباته وَنِعَمِه الكثيرة بقدر هذا الاستعداد، قال تعالى :

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [3].

وهذا شأنه في الخلق، فهو تعالى حين بعث الأنبياء لم يمهد الطريق لهم ليكون سهلاً يسيرا، بل أراد لهم أن يعملوا

---

[1] سورة الأنعام : آية ١٢٢ .

[2] سورة الحجر : آية ٩٩ .

[3] سورة الفرقان : آية ٢ .

بكل جهدهم لإنجاز تكليفهم، وليحققوا رسالة السماء على الأرض وبين الناس، فأرادة الله تعالى تتجلى في ضرورة بل وجوب تحقيق هذه الرسالات السماوية، ولكن التكليف والسعي إنما يقع على المرسل وبهذا رأينا كيف عانى موسى مع فرعون وكيف قاسى إبراهيم مع النمرود وكيف كان كفاح نوحٍ مع قومه، ومن رحم المعاناة تتحقق غاية الرسالات لتكون أشد أثراً وأكبر وقعاً وأكثر تأثيراً وأطول بقاءً. قال تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [1]، إن الفروض العبادية كلما أقبل الإنسان عليها بالدوام والاستمرار بصدق ورغبة كلما أخذت به نحو الأنس واللذة بها حتى لا يجد أحلى من الاستزادة عملاً أخر. والفروض العبادية لها أُسُسْ ولواحق وتوابع، فأما أساس العبادة فالنية ودوامها وعدم تزلزلها بين الترك أحياناً والإتيان بها أحياناً أخرى.

---

(1) سورة الملك : آية ١، ٢.

وأمـا اللواحـق فالمراقبـة لله فـي السـر والعلـن والـذكر الكثيـر لله وتحصـين حـرم القلـب مـن الغفلـة وقهـر الـنفس وعدم الاسترسـال وراء شـهواتها، وأمـا التوابـع فهـي ملاحظـة ثمرة العبادة و مصاديقها، فهل منعت الإنسان عن إرتكاب الذنوب وهل منعته عن الفحشاء والمنكر، وهل وصل إلـى مقام الغنى عما في أيدي الناس والافتقار إلى الله فقط؟ لقد ورد فـي الحـديث ((كم من مُصَلٍّ لـيس لـه من صـلاته إلا النصب والتعب، وكم من قـارئ للقرآن والقرآن يلعنـه، وكـم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش)) [1]. إن الـذي يظهـر مـن خـلال عمـل الجـوارح أو خـواطر الجـوانح، إنمـا هـو مـن أحكـام العبـادة وآدابهـا ولا يعتبـر مـن أسـرارها، وليلـة القـدر حاملـه لـلأسـرار العباديـة الكثيـرة وهـي بالمحـل الأخص فمن أرادها فليطلبها بتزكيـة النفس وتطهيرها حتـى يصل إلى لذة الإحياء والإمتثال والخضوع والأدب.

---

[1] مفاتيح الجنان، ص١٨٦. الشيخ عباس القمي.

ألا يلتفت الإنسان لماذا كان الإنفاق سِرّاً أعظم درجة من الأنفاق علناً،؟ ولماذا يقدم القرآن ذكر الليل على النهار؟ قال تعالى:﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾[١].

إن الإنفاق سِرَّاً لا يَخْفى على أصحاب العقول الراجحة هو إمتحان للنفس الإنسانية وترويضٌ لها على أن تنكر ذاتها لتعطي فرصة للروح بالجلاء والصفاء، كما أن عبادة الليل هي من السر والخفاء حيث لا يراك أحد فتكون عبادة شعارها الإخلاص لله وحده، ولا يشوبها رياءً أو عُجُب. وهكذا جعل الله تعالى ليلة القدر كالإنفاق سراً والعبادة التي لا يراك فيها أحد من حيث قهر النفس التي تحب الرياء والسمعة والإطراء والعجب.

إن العبادة التي يفترش فيها الإنسان الليل محراباً له، ويهجر النوم إذ لا نوم في ساحة المعشوق، فمثل هذه العبادة تكون أكثر جمالاً واكثر صدقاً وتأثيراً، ولهذا حث القرآن في آيات عديدة عليها، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴾[٢] وقال تعالى مخاطباً نبيه

---

[١] سورة المزمل : آية ٦ .

[٢] سورة الإنسان : آية ٢٦ .

: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا
٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ [1].

---

(1) سورة المزمل : آية ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

ذكر الله علامة المؤمن :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾[1].

رُوي في تفسير هذه الآية المباركة التي تتحدث وتصف حال المنافقين : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [2]، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((من ذكر الله في السر فقد ذكره كثيراً، إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر))[3] ونقول أن ليلة القدر، هي ليلة الذكر، وليلة الدعاء لله تعالى حيث أبواب السماء مفتوحة والشياطين مغلولة أيديهم، فمن أعرض عن ذكر الله في هذه الليالي المباركة فهو مما لا شك فيه من الغافلين، قال تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

---

(1) سورة الأحزاب : آية ٤١ .

(2) سورة النساء : آية ١٤٢ .

(3) وسائل الشيعة، ج٧، ص١٦٤. الحر العاملي.

﴿أَعۡمَىٰ﴾[1]. وقد ورد في دعاء الجوشن الكبير : ((يا خير الذاكرين ويا خير المذكورين، يا مَنْ ذِكْرُهُ حُلْوٌ، يا مِنْ له ذكْرٌ لا يُنْسى، يا مَنْ ذِكْرهُ شرف للذاكرين، يا أعَزَّ مذكور ذُكِرْ، يا خير ذاكر ومذكور...)) [2].

وورد في دعاء كميل المروي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : ((اللهم أني أتقرب إليك بذكرك، أن تلهمني ذكرك، لهج به لساني من ذكرك، أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة، يا من ذِكْرُهُ شِفاء)) [3]. وفي دعاء أبي حمزة الثمالي : ((اللهم أشغلنا بذكرك، اللهم خصني منك بخاصة ذكرك)) [4]. وقال تعالى : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [5].

والخلاصة أن الذكر الكثير يجلو النفس من اكدارها، وهو استقرار لها واطمئنان من شأنه أن يجعل الإنسان

---

[1] سورة طه : آية ١٢٤ .

[2] دعاء الجوشن، مفاتيح الجنان، ص١٠٠.

[3] مفاتيح الجنان : دعاء كميل، ص٧٨.

[4] مفاتيح الجنان، : دعاء أبي حمزة الثمالي، ص١٩٦.

[5] سورة طه : آية ١٤.

يبحث بجد عن ليلة الذكر والدعاء، ليلة القدر والتنعم بأجوائها الربانية. وتأسيساً على ما تقدم في الصفحات السابقة يمكن القول أن ليلة القدر لو كانت معينة ومعروفة تحديداً، لتكلَّف غير المؤمن (أعباء) هذه الليلة والقيام ببعض أعمالها على قاعدة (حشر مع الناس عيد)، فأما المؤمن فإنه سيجدد الهمة لليلة أخرى قادمة أملاً منه أنْ يُصيبَ الليلة المباركة، وأما غير المؤمن فسوف لن تكون له الهمة ذاتها.

المؤمن يبحث عنها كمن فقد طفلاً عزيزاً يريد أن يعثر عليه، وغير المؤمن يتنفس الصعداء ولسان حاله يقول، ليلة قضيتها ولا أقوى على إحياء غيرها، المؤمن يبحث عن ليلة القدر ويجد ويجتهد في الليالي العشر الأواخر وهو يشعر بقوة الروح والبدن ويدرك انَّ الله تعالى قد منحه هذه النعمة، نعمة العبادة والمجاهدة والصبر، قال تعالى : ﴿ **يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1]. أما غير المؤمن فمصداقه الآية : ﴿ **وَإِذَا**

(1) سورة آل عمران : آية ١٧١.

قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾[1]. إن الله يحب من عباده الصابر على الطاعة والعبادة وإنْ كَثُرَتْ ويقبل عليها وهو عارف بأسرارها ورغبة في الزيادة منها، وهو تعالى إنما يتقبل من المتقين الورعين لا من الذين يتذبذبون بين الطاعة واللهو، ذاكرين الله قليلاً ومنشغلين عنه كثيراً. إنَّ أولياءَ الله حقاً هم مَنْ عرفوا الله فخافوه وأدركوا ان الدنيا ليست مقراً لهم فلم يُطْمِعُوا فيها أنفسهم واستقربوا الأجل فبادروا بالعمل.، ذكر إبن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة بسنده عن ابن عراده قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام أخبرنا عن ليلة القدر، فقال عليه السلام : ((ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها، ولست أشك أنَّ الله إنما يسترها عنكم نظراً لكم، لأنكم لو أعلمكموها لَعمِلْتم فيها وتركتم غيرها!)) [2].

---

[1] سورة النساء : آية ١٤٢ .

[2] بحار الأنوار، ج٩٧، ص٧. العلامة المجلسي

الفصل الثاني

الفصل الثاني

١ -علاقة ليلة القدر بنزول القرآن :

من المعروف تماماً أنَّ القرآن الكريم نزل في شهر رمضان المبارك من بطنان عرش الله إلى سماء الدنيا، قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ ﴾[١]. فالآية هنا تشير إلى نزوله في الشهر المبارك، ثم جاء في سورة الدخان تحديداً أن النزول كان في ليلة واحدة من هذا الشهر الكريم : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [٢]، ولم يُسَمِّ هذه الليلة، حتى جاءت سورة القدر التي تضمنت تحديد الليلة وتسميتها، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[٣]، وبهذا إكتسبت هذه الليلة بُعْداً إضافياً خاصاً وزادها الله شرفاً لأنها تضمنت نزول القرآن فيها. وواضح أن هذا النزول كان دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، وذلك من خلال الروايات

---

[١] سورة البقرة : آية ١٨٥ .

[٢] سورة الدخان : آية ٣ .

[٣] سورة القدر : آية ١ .

الواردة عن النبي وأهل بيته، ثم أخذت السور تنزل نجوماً متفرقة على مدى ثلاث وعشرين عاماً على قلب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. فالمراد بأنزال القرآن في ليلة القدر هو إنزال حقيقة الكتاب المتوحد إلى قلب رسول الله دفعة واحدة، كما أن إنزال القرآن المُفَصّل في فواصل وأزمان وظروف على قلبه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً وبشكل تدريجي طيلة مدة الدعوة الشريفة، على أن للعلماء والمفسرين أقوال في معنى نزول القرآن في شهر رمضان نورد بعضاً منها:

القول الأول : أن القرآن كان ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة القدر من كل سنه على ما يحتاج إليه الناس في تلك السنة، ثم ينزله جبرائيل تدريجاً حسب مواطن الحاجة وما تقتضيه المناسبة فعلى هذا القول يكون نزول الكتاب قد توزع على عدة ليالٍ لا ليلة واحدة، ونسب هذا القول إلى ابن جريج والسدي وأسنده الأخير إلى ابن عباس ونقله القرطبي عن مقاتل ووافقه الماوردي وآخرين[١].

---

[١] تلخيص التمهيد، ج١، ص٦٩. محمد هادي معرفة.

ونقـولُ إنَّ هـذا القـول مـردود لأنَّ صـيغة الآيــة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ وكذلك الآية الأولى من سورة القدر : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ ، فهما دالتان على تعيين ليلة النزول بليلـةٍ واحدة، لا ليـالٍ عـدة كمـا ذهـب إليـه أصـحاب هـذا الرأي.

القول الثاني : قال بعضـهم أن أكثر القرآن نـزل فـي شهر رمضان ونزول (الأكثر) أعطى العموم والتغليب على أن النـزول كـان فـي هـذا الشـهر، واحتمـل هـذا الـرأي سـيد قطـب حيـث قـال : ((الشـهر الـذي أنـزل فيـه القـرآن، إمـا بمعنى بدء نزوله كان في شهر رمضان أو أن معظمه نزل في هذا الشهر)) [1]، ونقول أن هذه دعوى لا شاهد عليها، بملاحظـة الآيـة ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ ، أي هـي ليلـة معينــة بـذاتها مـع أنــه اسـتمر بـالنزول التـدريجي لـثلاث وعشرين سنة فكيف أن أكثره قد نزل في هذه الليلة؟

القول الثالث : أن القرآن نـزل جملـة واحدة فـي ليلـة القــدر إلـــى البيـــت المعمـــور، ثـــم نـــزل علـــى رســـول

---

[1] في ظلال القرآن، ج٢، ص٧٩. سيد قطب.

الله ﷺ متفرقاً خلال ثلاث وعشرين عاماً، وقد ذهب إلى هذا الرأي جماعة من المحدثين معتمدين على نصوص وردت من الفريقين، قال الشيخ الصدوق : ((نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة واحدة هي ليلة القدر، جملة واحدة إلى البيت المعمور ثم تتابع النزول التدريجي في مدة عشرين عاماً وهذا التدريج جاء موافقاً للحوادث والمناسبات الي يخبر الله بها نبيه صلوات الله عليه وآله)) [1].

والذي لا شك فيه أنَّ الله تعالى أعطى نَبيّه العلمَ جملةً واحدة ثم خاطبه بقوله : ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ [2]. ونحو ذلك ما ذكره الشيخ المجلسي (أعلى الله مقامه) وحكى عن الطبراني وغيره عن ابن عباس أنه قال : ((أُنْزِلَ القرآن ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وَوُضِعَ في البيت المعمور ثم أُنْزِلَ نجوماً على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين عاماً، وقال السيوطي: ((وهذا هو أصلح الأقوال وأشهرها)) [3].

---

[1] كتاب الاعتقادات، ص١٠١. الشيخ الصدوق.

[2] سورة طه : آية ١١٤ .

[3] تلخيص التمهيد، ج١، ص٧٨. محمد هادي معرفة.

وروى الشيخ الكليني بسنده عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [1]، وإنما أنزل في طول عشرين عاماً، بين أوله وآخره، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) : ((نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة، ثم قال: قال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلون من شهر رمضان، وأنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان))[2]. وهذا ما تسالم عليه الإمامية بدلالة الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، كما وأن حديث رسول الله آنف الذكر يفيد في تعيين هذه الليلة المباركة، وقال الشيخ الصدوق (قدس) : واتفق مشايخنا على أنها ليلة ثلاث وعشرين [3]. أما عند الجمهور فذهب أكثرهم إلى

---

[1] سورة البقرة : آية ١٨٥.

[2] أصول الكافي، ج٢، ص٦٢٨. الشيخ الكليني.

[3] الخصال، ج٢، ص١٠٢. الشيخ الصدوق.

أنها ليلة السابع والعشرين. وقد جاء في كتاب (دعائم الإسلام) : ان رسول الله ﷺ كان يطوي فراشه في العشر الأواخر من الشهر المبارك ويشد وسطه ويقوم للعبادة وكان لا يترك أهل بيته نياماً، حتى أنه كان يرش الماء عليهم ليستيقظوا للعبادة، وكانت الصديقة الزهراء (عليها السلام) توقظ الحسن والحسين من نومهما أيام طفولتهما، وكانت تعالجهم بتقليل الطعام كي لا يأخذهما النعاس وكانت تأمرهما بالنوم نهاراً حتى يستطيعوا الصبر وعدم النعاس ليلاً ليقيموا هذه الليلة المباركة.

وعن حسان ابن أبي علي قال : ((سألتُ ابا عبد الله عليه السلام عن ليلة القدر، قال اطلبها في تسع عشرة، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين)) [1]، ولذا نجد اليوم أغلب المسلمين يدأبون على تسمية هذه الليالي الثلاث بليالي القدر، وسيأتي الكلام عنها تفصيلاً، ونخلص القول، أن هذا الكتاب العزيز كان نزوله في شهر رمضان المبارك وتحديداً في ليلة واحدة هي ليلة القدر. لكن هذه الليلة لم تكن قد اكتسبت كل هذا الشرف والذكر العلي لنزول القرآن

[1] وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣٦١. الحر العاملي.

فيها فحسب، بل أن ثمة أحداث وأسرار أخرى حدثت في هذه الليلة المباركة رفعت من قدرها وشرفها سنتحدث عنها تفصيلاً والذي يهمنا ذكره، أن ليلة القدر باقية إلى يوم القيامة حَيّةً متجددة وان كرامات هذه الليلة تتجدد في كل سنة، وأن نزول القرآن فيها هو إحدى هذه الكرامات.

هل تتجدد في كل سنة؟

ليس فقط ليلة القدر هي التي تتجدد في كل سنة، بل كل يوم هو خلق جديد، بل كل ساعة تختلف عن التي قبلها والتي تأتي بعدها، إن الله تعالى لما خلق الخلق أحكم كل شيء خلقه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((وأتقنَ صُنْع الفَلَك الدوّار في مقادير تبرجه، وشَعْشَعَ ضياء الشمس بنور تأججه، يامَنْ قَرُبَ من خَطَرات الظنون وَبَعُدَ عن لحظات العيون وعَلِمَ بما كان قبل أن يكون)) [١] وفي مقطع آخر من دعاء الصباح يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((ألفَّتَ بقدرتك الفَرقْ وفَلَقْتَ بلطفك الفَلَقْ وأَنَرْتَ بكرمك دياجي الغَسَقْ وأنهَرْتَ المياه من الصُمّ الصياخيد عَذْباً وأُجاجا وأنزلْتَ

[١] دعاء الصباح : مفاتيح الجنان.

مـن المُعْصِـرات مـاءً ثجّاجـا وجعلـت الشـمس والقمـر للبريـة سِراجاً وهاجـا، مـن غيـر أن تمـارس فيمـا ابتدأت بـه لَغوُبـاً ولا علاجـاً...)) إن هـذه الكلمـات لسـيد البلغـاء والمتكلمـين تصـوّر عظيم صـنع الله خـالق الأكـوان والأفـلاك والمجـرات والسـموات السـبع والأرضـين السـبع ممـا لا نسـتطيع لـه عَـدّاً ولا حَصْـراً. وهـو بعـد يديرها بيد القدرة والرحمـة، لا تأخـذه سِنَـةٌ ولا نـوم ولا يخفـى عليـه شـيء، قـال تعـالى علـى لسـان لقمـان الحكـيم وهـو يعــظ ابنـــه ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾[1]. ولم يترك الخلـق سـدى ولا تـرك الأفـلاك تجـري كيفمـا شـاءت، بـل لـه معقبـات مـن أمـره مـن الملائكـة، ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾[2]، تسوق الريـاح والسـحاب وتنـزل الغيـث وتـنظم حركـة كـل جسـم فـي المنظومـة الكونيـة بنظـام كامـل دقيق، قال تعالى : ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ

---

(1) سورة لقمان : آية ١٦ .

(2) سورة الأنبياء : آية ٢٧ .

﴿يَسْبَحُونَ﴾[1]. فهو الحكيم في صُنْعه والرحيم بعباده، خلق الإنسان ولم يك شيئاً، وأخرجه للوجود برحمته ولطفه وأرادته ومشيئته، فلا يعقل أن يترك هذا الإنسان الضعيف كريشة في مَهَب الريح في هذا العالم الواسع الفسيح دون أن يمد له يد العون والرأفة ولما كان الله سبحانه خبيراً بعباده فهو يعرف ما يُصْلحهم وما يفسدهم، فقد ورد في الحديث الشريف وهو حديث قدسي : ((إنَّ مِنْ عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لهلك)) ولقد كان بعلم الله ولم يزل إن ابن آدم لم يكن له عزماً وأنه ميال بشهوته إلى الدنيا راكناً إليها منشغلاً بأجوائها. فأنه والأمرُ هكذا، سيرتكب الذنوب والمعاصي والآثام وأنَّ نفسه الأمارة بالسوء جُبِلَتْ على الغفلة عن ذكر الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((الناس نيام فإذا ماتوا أنتبهوا)) ولهذا جعل الله تعالى أبواباً لرحمته ومحطات عبادية للإنابة إليه، ومنها يوميه كالصلوات الخمس وبعضها اسبوعي كيوم الجمعة المباركة وبعضها في كل عام مرة كليلة القدر العظيمة. والتي رغّب الله العباد إليها بأن جعلها خير من ألف شهر.

---

[1] سورة يس : آية ٤٢ .

فلابد أن تكون هذه الليلة ذات عناوين جديدة في كل عام، وهي بهذا لم تكن مجرد ذكرى مرت حيث تشرفت قبل ١٤٠٠ عام بنزول القرآن فيها، وإنْ كان نزول القرآن قد زادها شرفاً وتكريماً. بل هي ليلة تتجدد في كل سنة، تمتلئ بالأسرار الإلهية والهبات والعطاء وقد أوكل الله تعالى من الملائكة من يسوق هذه الهبات والعطايا لمستحقيها من عباده العاملين، وقد سُئل الإمام الباقر (عليه السلام) : أخبرني يا أبن رسول الله عن ليلة القدر هل تكون في كل عام؟ فقال الإمام : لو رُفِعَتْ ليلة القدر لَرُفِعَ القرآن، وهذا يعني أن ثمة انسجاماً ووحدة موضوعيه تشترك فيها ليلة القدر المباركة مع القرآن الكريم، فالقرآن حي متجدد، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((لا تنقضي عجائبه، ولا تُطفأ مصابيحه، وبحرٌ لا يُدْرِك قَعْرُه وشعاعاً لا يظلم ضوؤه))[1]. فكما أنَّ القرآن متجدد على الدوام ولا يمكن لعاقل أن يَجرأ فيقول أنه أصبح قديماً، كذلك ليلة القدر، فهي ليلة تتجدد في عطائها وأسرارها كل سنة، فنحن حين ننتظر هذه الليلة، فلأن الله تعالى انتدبنا إليها لطفاً منه ورحمة، حيث يتقرر فيها أمر

[1] نهج البلاغة، في وصف القرآن، ص٧٦.

شؤون العباد من خير وشر وموت وحياة ومرض وعافية وفقر وغنى، فيعطي على قدر إستعداد الناس وتوجههم إليه سبحانه، قيل للحسين ابن الفضيل : ((أليس قد قَدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال : بلى

قيل له : فما معنى ليلة القدر؟

قال : سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المحتوم المُقدَّر)) [1]، وقد ورد في الدعاء : ((اللهم إني أسألك فيما تقضي وتقدّر من الأمر المحتوم وفي الأمر الحكيم من القضاء الذي لا يُرَدُ ولا يُبَدل أن تكتبني من حجّاج بيتك الحرام..)) [2].

وروي عن الإمام جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام أنه قال : ((ليلة القدر تكون في كل عام، لو رُفِعَتْ لرُفِعَ القرآن)) [3]، فلو كان شرف هذه الليلة وقداستها وتكريمها لكون القرآن قد نزل فيها لخلصنا القول : انها ليلة واحدة كانت في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ألف سنة وأنتهى أمرها!!، فقد جاء في كتاب الكافي بأسناده عن الفضيل

---

(١) اعانة الطالبين، ج٢، ص٢٨٩.

(٢) دعاء الافتتاح، مفاتيح الجنان، ص٩٦.

(٣) تفسير الميزان، ج٢، . الطباطبائي.

وزراره ومحمد ابن مسلم عن حمران أنه سُأل الإمام الباقر عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾ ، قال الإمام عليه السلام : ((هي ليلة القدر وهي من كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر))، وجاء كذلك في الكافي عن داود ابن فرقد قال : حدثني يعقوب قال سعمتُ رجلاً يسأل أبا عبد الله عن ليلة القدر فقال : أخبرني عنها كانت أو تكون في كل عام؟ فقال الإمام عليه السلام : ((لو رُفِعَتْ ليلة القدر لَرُفِعَ القرآن.، أي لرفع حكمه الذي حكم بأنَّ الملائكة تتنزل فيها حيث يدل على التجدد والدوام من كل عام.

ليلة القدر في عهد الأنبياء :

جاء عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلتُ يا رسول الله، ليلة القَدرْ شيء تكون على عهد الأنبياء يُنَزل فيها فإذا قُبِضُوا رُفِعَتْ؟، قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((لا بل هي إلى يوم القيامة، قلت : في أي من رمضان؟ قال أطلبوها في العشر الأواخر، ومما يدل على أنَّ الأنبياء مشمولين ببركات وأسرار هذه الليلة الرواية التالية عن النبي

الأكرم ﷺ : ((قال موسى عليه السلام : إلهي أريد قربك، قال: قربي لمن استيقظ ليلة القدر، قال : إلهي أريد رحمتك، قال : رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر، قال: إلهي أريد الجواز على السراط، قال : ذلك لمن تصدَّق في ليلة القدر، قال : إلهي أريد من أشجار الجنة وثمارها، قال : لمن سَبَّحَ تسبيحةً في ليلة القدر، قال : إلهي أريد النجاة من النار، قال : ذلك لمن استغفر في ليلة القدر، قال : إلهي أريد رضاك، قال : رضاي لمن صلى ركعتين في ليلة القدر))[1].

والرواية كما ترون فيها تأكيد على أهمية هذه الليلة وأي تأكيد!!.، فهذه الليلة العظيمة هي من الأسرار الإلهية التي يرتكز عليها نظام الوجود حيث هكذا جَرَتْ سِنّة الله في الأولين والأخرين، ومع إنها كانت محجوبة عن الناس في الأمم السابقة ولعله أختصرت معرفتها على الأنبياء أنفسهم، ولعل اختصارها على الأنبياء في الأمم السابقة يعود إلى أحد احتمالين، فالاحتمال الأول : هو أَنَّ الله أَطْلَعَ أنبياءه السابقين على هذه الليلة لكونها من الأسرار

---

[1] الإقبال، ج١، ص٣٤٥. ابن طاووس.

العظمى بناءاً على ما يحدث فيها من تقدير أمور العباد في كل سنة وما يجري كذلك فيها من أحداث في حياة الأمم، وبهذا فلابد أن يكونوا على علم بما سيكون من مستقبل الأحداث لكي ينتظم عندهم أسلوب قيادة الناس وكذلك يكون اسلوب التوجيه منسجماً مع الأحداث المستقبلية وهو من العلم الخاص لدى الأنبياء لكي تكون الحجة أقوى على الناس وكذلك تطمأن القلوب اليهم وتصديقهم.

الاحتمال الثاني : أن الله أخبر أنبياءه السابقين عن أسرار هذه الليلة لكي لا يكونوا بعيدين عن أجوائها الروحانية الخاصة، ولكي يجتهدوا في الدعاء والعبادة نيابة عن أممهم باعتبار ان الدعاء هو سلاح الأنبياء الذي لن يستغنوا عنه أبداً في حياتهم وفي تذليل الصعاب في قيادتهم للناس وتحقيق رسالاتهم، وكذلك لعظم هذه الليلة يرى الحق المتعال بلطفه ضرورة أَنْ يقف الأنبياء عندها ويعرفوا سر شرفها وقدرها.

وتكريماً وتشريفاً لمقام رسول الله ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين جعل الله تعالى ليلة القدر له ولأمته

والتـي ورد بحقها أنـها الأمـة المرحومـة ببركـة النبـي الأكـرم وانتسـاب هـذه الأمـة لـه حتـى سـميت بأمـة محمـد صلى الله عليه وآله وسلم. باعتبـاره الرحمـة المهداة، قـال تعـالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وخلاصـة القـول، أن ليلـة القـدر كانـت فـي الأمـم السابقة، إطَّلَعَ الأنبياء على أسرارها وتعبَّدوا فيها والذي يدل عليـه قولـه تعـالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ هو أنـها كانت موجودة في تلك الأمم وأنها ليلة من ليالي الكون منذ خلق الله الكون وهي ليست مما خص الله تعالى نبيه الكريم بها كالكوثر الذي هو خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ وذلـك بلحـاظ ظـاهر سـياق الآيتين، حيث استدل القائلون بعدم الاختصـاص بروايـاتٍ أصحها سنداً رواية أبي ذر التي مر ذكرها.

[1] سورة الأنبياء : آية ١٠٧.

ماذا يحدث في ليلة القدر؟

إذا تأملنا في سورة القدر المباركة وكذلك الآيات الأولى من سورة الدخان، والتي ورد إستحباب قراءتها في مراسيم إحياء ليلة القدر، فضلاً عن سورتي الروم والعنكبوت. فلو تأملنا جيداً في هذه السور المباركة لأدركنا أن ثمة أحداث وأوامر إلهيّة تصدر من ساحة الفيض والحق الإلهي، وأن ثمة حركة دؤوب لأفواج من الملائكة تهبط وتعرج، وتستمر هذه الحركة حتى مطلع الفجر، وعند بزوغ هذا الفجر ينتهي هذا الوقت المبارك، قال تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾.

فما حقيقة ما يحدث؟

لا يخفى، أن الله تعالى وصف ليلة القدر بأنها الليلة المباركة، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾[2].

فالآية الأولى تشير إلى نزول القرآن الكريم في ليلة القدر، فهي الليلة المباركة والتي من بركاتها نزول القرآن فيها، وهي ليلة مباركة بذاتها فسواء تشرفت بنزول القرآن فيها أم لا، فهي ليلة مباركة في كل حالها، والآية الثانية ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾ إنما تبين أمراً أخر يحدث فيها لا علاقة له بنزول القرآن الكريم والذي يدلنا على أن التنزلات في ليلة القدر شملت غير القرآن قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ فالروح الأمين وهو جبرائيل الذي نزل بالكتاب المجيد، والملائكة تنزلت لأمر أخر غير القرآن، ليباشر كل ملك مهمته في الناس في أجواء هذه الليلة. فالآية الكريمة ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾ يعني في

---

[1] سورة الدخان : آية ٣ .

[2] سورة الدخان : آية ٤ .

ليلة القدر، ويفرق أي يفصل، فالأمر هو ما يتعلق بالمشيئة الإلهية وما قدر الله لعباده، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾[2]، وحكيم، أي أنه أمر متقن ومحكم وتام لا زيادة فيه ولا نقصان، وصادر من حكيم مقتدر وهو الله سبحانه وهذا بدلالة قوله تعالى ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾[3].

وإذا كان الأمر منسوباً إلى الله تعالى وصادر في ليلة مباركة كثيرة الخيرات، فمعنى هذا أن الأمر في غاية الأهمية، وهذا ما صرحت به الآية في تمامها، ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[4] وهذه الرحمة الإلهية هي عطاء الله لعباده ولكن كل بقدره وحسب استحقاقه وعلى ضوء اقبال الإنسان على الطاعة والإخلاص والعمل واعترافه بذنبه وتقصيره والندم على ما

---

(1) سورة يس، : الآية ٨٢ .
(2) سورة الجاثية : الآية ١٧ .
(3) سورة الدخان : الآية ٥ .
(4) سورة الدخان : ٥ .

فات من العمر، ثم التوبة والاستغفار، فعند ذلك يقبل الله عليه بالرحمة والمغفرة ويجزيه جزاء عمله وعبادته بالقدر الذي يستحقه ومن هنا سُميت بليلة القدر.

فعن علي ابن ابراهيم الهاشمي قال : سمعت ابا الحسن موسى ابن جعفر عليه السلام يقول : ((لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقَدَّر وقضى)).

قلت ما معنى شاء؟

قال عليه السلام : إبتداء الفعل

قلت : ما معنى أراد؟

قال عليه السلام : ثبوت الفعل

قلت : ما معنى قَدَّرْ؟

قال عليه السلام : تقدير الشيء من طوله وعرضه.

قلت ما معنى قضى ؟

قال عليه السلام : إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مرد له)) (١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، في الدعاء في شهر رمضان في كل ليلة منه تقول ((اللهم إني أسألك فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم وفي الأمر الحكيم في ليلة القدر من

(١) الحدائق الناضرة : ١٣/٤٥٠. الشيخ يوسف البحراني.

القضاء الذي لا يُرَدُّ ولا يُبَدَّل أن تطيل عمري وتوسع علي في رزقي...))[1]، وبعد أن فرغ من تعيين الأمر بكل أبعاده بأحكام ودقة واستحقاق، فلابد من حملة لهذا الأمر وإيصاله إلى المعنيين به من الناس، فيأتي دور الملائكة هنا حيث يأمرهم الله تعالى بالنزول إلى الأرض، قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا (في ليلة القدر) بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ . وهذه الآية من سورة القدر تحمل ذات المعنى الوارد في الآيات الأولى من سورة الدخان، وعند نزولهم يسمعون الثناء على الله والحمد وألوان الشكر، ويسمعون دعاء الداعين وتوسلهم وتضرعهم وبث حاجاتهم بين يديه تعالى. فتسلم أفواج الملائكة عليهم وهم يحملون ما قدر الله لهم من الخير وألوان البركات ويستمر هذا المشهد حتى طلوع الفجر.

مشهد كله خير وسلام لأنه مشهد الرحمة الإلهية في الليلة المباركة، فيعتق الله فيها رقاباً من النار ويغفر الذنوب ويطهر القلوب ويوسع في الارزاق ويغير الآجال

---

[1] دعاء الافتتاح، مفاتيح الجنان.

ويقر ما في الأرحام ويقلب أحوال العباد من حال إلى حال. وقد ورد في معنى كلمة (يفرق) أي يفصل بين المؤمن والكافر والمنافق فيقال للملائكة هذا، فيعرفونه))[١].

وإن أفواج الملائكة لتضع اجنحتها على المؤمنين كناية عن الأمن والسلام كما تضع اجنحتها لطالب العلم تكريماً له.

علاقة ليلة القدر بأهل البيت (عليهم السلام):

يمثل أهل البيت (عليهم السلام) الإمتداد الحق لخاتم الأنبياء وسيد المرسلين وأشرف المخلوقين من ولد آدم أجمعين فقد ترك فيهم مواريث الأنبياء وأودع في صدورهم أسرار الرسالة ليكونوا الأمناء على دستورها الذي تعاهده النبي بالحفظ حتى أودعه فيهم (القرآن الكريم)، فكانوا له خير حفظة كرام برره ما فارقوا القرآن ولا القرآن فارقهم آناء الليل وأطراف النهار، قال ﷺ : ((إني تارك فيكم الثقلين،

[١] معاني القرآن، ٦/٣٩٥. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء.

كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) [١].

وهذا الحديث الذي رواه الفريقان وبصيغ مختلفة، يوضح العلاقة التلازمية بين أهل البيت (عليهم السلام) والقرآن الكريم، والتي لا تنفك بأي حال من الأحوال، وبما أن الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات وأكملها، وان النبي الأكرم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن القرآن هو آخر ما نزل من الكتب السماوية، وأن أهل البيت هم ورثة هذا الكتاب فعلى هذا يكون الأئمة عليهم السلام ممثلين للخط الإلهي الكاشف لمسيرة من سبق من الأنبياء والمرسلين عبر الأزمان والعصور من آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة، فالرسالات بروحها وقيمها إنما حُفِظَتْ بهم، لأنهم خلاصة التجربة الإنسانية، وهم حجج الله تعالى على خلقه وخلفاؤه في أرضه وأوصياء رسول الله في الناس، يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر في كتابه (النبوة الخاتمة) : ((إن القرآن أكد على ((ختم)) النبوة، وآياته لا تبشر بنبي جديد، فقد جاء في قوله

---

(١) كتاب الثقلان، ج٣، ص١٧. الشيخ محمد حسين المظفر.

تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [1] وقد وردت آيات كثيرة تؤكد استمرار خط النبوة بامتداد خط الإمامة وهذا الاستمرار في الواقع هو انتصار لخط النبوة وازدهار لمقوماته التكاملية. فخط الإمامة مستمر لاستمرار بقاء القرآن الكريم عبر العلاقة التلازمية التي لا تنفك أبداً بدلالة حديث الثقلين الذي مر ذكره، قال رجل للإمام الباقر عليه السلام : يابن رسول الله، لا تغضب علي! قال (لماذا)؟، قال الرجل لِما أريد أن أسألك عنه، قال الإمام : قل، قال : أقول ولا تغضب؟ قال عليه السلام : لا أغضب، قال: أريد قولك في ليلة القدر، ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ إلى الأوصياء يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله قد علمه، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وليس من علمه شيء إلا وعلي له واع؟. قال الإمام عليه السلام : ((فأفهم ما أقول لك : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جل ذكره عِلْمَ ما قد كان وما سيكون، وكان كثيراً من ذلك العلم

---

[1] سورة الأحزاب : آية ٤٠. النبوة الخاتمة، المفكر الإسلامي السيد الشهيد محمد باقر الصدر.

جُمَلاً يأتي تفسيرها في ليلة القدر، وكذلك كان علي أبن أبي طالب (عليه السلام) قد علم جُمَل العلم، وياتي تفسيره في ليالي القدر كما كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال السائل : أو ما كان في الجمل تفسيره؟ قال الإمام (عليه السلام) : بلى ولكنه إنما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى الأوصياء : إفعل كذا وكذا، لأمر كانوا علموه وأمروا كيف يعملون فيه، إلى أن قال الإمام (عليه السلام): ((من أنكره فليس منا))، وقال (عليه السلام) : إن من صَدَّقَ بليلة القدر ليعلم أنها لنا خاصة لقول رسول الله لعلي (عليهما السلام) حين دنا موته : هذا وليكم من بعدي، فإن أطعتموه رشدتم، ولكن من لا يؤمن بما في ليلة القدر منكر، ومن آمن بليلة القدر ممن على غير رأينا فأنه لا يسعه الصدق إلا أن يقول أنها لنا، ومن لم يقل فإنه كاذب)) وروي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) : ((قرأ علي ابن أبي طالب (عليه السلام) إنا أنزلناه في ليلة القدر وعنده الحسن والحسين (عليهما السلام) فقال له الحسين يا أبتاه كان بها من فيك حلاوة، فقال : يا ابن رسول الله وابني، اعلم أني اعلم فيها ما لا تعلم، انها لَمّا أُنْزِلَتْ بعث إلي جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فقرأها عليَّ ثم ضرب على كتفي الأيمن وقال : يا أخي ووصيي ووليي علىَّ أمتي من بعدي وحرب أعدائي إلى يوم يبعثون، هذه السورة لك من بعدي ولولديك من بعدك، إن جبرئيل أخي من الملائكة أحدث لي أحداث أمتي وإنه ليحدث ذلك إليك كأحداث النبوة، وإن لها نور ساطع في قلبك وقلوب أوصيائك إلى مطلع القائم)).

إني جاعل في الأرض خليفة :

إن الخليفة هو المُعَيَّن بأمر الله تعالى نبياً كان أم إماماً، أما غير ذلك ممن حكم العباد والبلاد وعاث في الأرض ظلماً وفساداً وأدَّعى لنفسه هذا الاسم كخلفاء بني أمية أو بني العباس، فالاسم عليهم دخيل وعنهم بعيد وبهم لا يليق، إن الله يصطفي من عباده التقي الأمين على تحمل المسؤولية في التبليغ وتغيير حركة المجتمع نحو الخط العلوي التكاملي والارتقاء نحو تحقيق دقيق لمعنى العبودية الصادقة بين الناس وخالقهم جل شأنه، ولذا فإنه تعالى بعث إبراهيم عبداً مطيعاً له ثم جعله نبياً ثم اتخذه

خليلاً ثم اختاره إماماً، قال تعالى : ﴿ **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ﴾ [1] قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين، فالإمام هو الحجة، أي حجة الله على الخلق ويمتد بوجوده إلى ما قبل الخلق للإحاطة والدراية والعلم اللدني وهذا تكريم وتكليف، وبدأ بالخليفة قبل الخليقة، وهذا دال على أن الحكمة في الخليفة أبلغ من الحكمة في الخليقة قال الإمام الصادق عليه السلام : ((الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق)) [2] وحجة الله على الخلق هو الخليفة الذي جعله الله للناس إماماً ظاهراً كان أم غائباً. وفي عقيدتنا التي تَعَبَّدنا الله بها، أَنَّ الأئمة المعصومين هم الحجج الذين نَصَّبَهُم الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وقد عَدَّهُم النبي الأكرم إماما بعد إمام. ومما رواه الصفار في بصائر الدرجات بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين اكتب ما املي عليك، وقد دعوة الله لك أن يحفظك فلا ينساك، لكن اكتب لشركائك، قال : قلت ومَنْ شركائي يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : الأئمة من ولدك، بهم

---

(1) سورة البقرة : آية ١٢٤.

(2) كمال الدين وتمام النعمة، ص١٦. الشيخ الصدوق.

تُسقى أمتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم، وبهم يُصرف البلاء عنهم، وبهم تنزل الرحمة من السماء وهذا أولهم وأوما بيده إلى الحسن عليه السلام، ثم أومأ بيده إلى الحسين عليه السلام ثم قال والأئمة من ولدك))[1]... قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾[2] أي يهدون الناس بالحق إلى ما شرع الله تعالى لعباده، ولذا فإن من ألقابهم الشريفة ((ولاة الأمر)) أي يتعهدون ما أمر الله به فيكونوا دُعاة في أمره وحكمه ونهيه، يُبَلِّغون الأمة بحلال الله وحرامه وسائر التكاليف ويتعاهدون القرآن ببيان أسراره وإظهار عجائبه وإعجازه، وبهذا وردت الإشارة إلى ذكرهم في الزيارة الجامعة والتي رواها الشيخ الصدوق : ((السلام على مظهري أمر الله)).

[1] بصائر الدرجات، ص٢٠١. أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار.

[2] سورة الأنبياء : آية ٧٣ .

من هم ولاة الأمر :

ورد عن الشيخ أبي عمرو العمري (رحمه الله) قال: تشاجر ابن ابي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في الخلف، فذكر ابن أبي غانم إنَّ أبا محمد عليه السلام مضى ولا خلف له، ثم أنهم كتبوا كتاباً وأنفذوه إلى الناحية، وأعلموه بما تشاجروا فيه، فورد جواب كتابهم بخطه عليه السلام : ((بسم الله الرحمن الرحيم، عافانا الله وإياكم من الضلالة والفتن ووهب لنا ولكم روح اليقين، واجارنا وإياكم من سوء المنقلب، إنه أُنْهِيَ إليَّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمورهم، فغمّنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لأن الله معنا ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا، ونحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا)). ويكمل الإمام جوابه : ((يا هؤلاء مالكم في الريب تترددون، وفي الحيرة تنتكسون؟! أو ما سمعتم الله عز وجل يقول : (يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)؟ أو ما علمتم ما

جارت به الآثار مما يكون ويحدث في أئمتكم على الماضين والباقين منهم السلام؟!...))[١].

فأصبح الآن واضحا، ان ولاة الأمر هم أهل البيت عليهم السلام، عِدْلُ القرآن وترجمانه لا يدانيهم أحد في علمهم ولا في سيرتهم وان الله تعالى نص عليهم وأخبر بذلك نبيه المصطفى وأنهم خُزّان علم الله ووحيه وأنهم سُفُن النجاة وأنهم في أمة رسول الله ﷺ كسفينة نوح، قال رسول الله ﷺ : ((مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى)) [٢]، والأخبار بذلك كثيرة لا تعد ولا نريد الإطالة فيها سوى هذه الرواية ليكون أبلغ في هذا المقام ففي كتاب (اكمال الدين) قال غير واحد من أصحابنا قالوا حدثنا ابن همام عن جعفر ابن محمد الفرازي قال حدثني الحسين ابن محمد ابن الحرث عن سماعة عن احمد ابن الحرث قال حدثني المفضل ابن عمرو عن يونس ابن ظبيان عن جابر الجعفي قال سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول :

---

[١] بحار الأنوار ، ج٩٣، ص١٨٢. العلامة المجلسي.

[٢] بحار الأنوار، ج٢٣، ص١٢٣. العلامة المجلسي.

لما أنزل الله على نبيه (محمد) ﷺ : يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم)) قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي المر الذين قرن طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ : هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي ابن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي ابن الحسين ثم محمد ابن علي المعروف بالباقر وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأهُ مني السلام ثم الصادق جعفر ابن محمد ثم موسى ابن جعفر ثم علي ابن موسى ثم محمد ابن علي ثم علي ابن محمد ثم سميي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده محمد ابن الحسن ذلك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائهِ غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا مَنْ امتحن الله قلبه للإيمان، قال جابر : قلت : يا رسول الله فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته فقال ﷺ أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها

السحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علمه[1].

فأصبح واضحاً أنَّ ((ولاة الامر)) هم الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين يقول الكفعمي في (البلد الأمين)، وهذا دعاء صاحب الأمر عليه السلام وقد علمه سجيناً فأطلق سراحه : ((الهي عَظُمَ البَلاء وبَرِحَ الخفاء إلى أن يقول : اللهم صل على محمد وآل محمد ((أولي الأمر)) الذين فرضت علينا طاعتهم ... الدعاء)) [2].

وهذا أحد الشعراء يخاطب أهل البيت عليهم السلام :

((فو الله لا أخشى من النار في غدٍ وانتم (ولاة الأمر) يا آل أحمدِ
وها أنا أدعوكم رافعاً يدي خذوا بيدي يا آل بيت محمدِ))[3]

فيها يفرق كل أمر حكيم :

فهذا الأمر الإلهي الذي يُفْرَقُ، أي يفصل ويُوزَّع على يد الملائكة في ليلة القدر، يكون تحت رعاية ومشاهدة

---

[1] كتاب كمال الدين وتمام النعمة، ٢٤١. الشيخ الصدوق.

[2] دعاء الفرج، ص١٧١. مفاتيح الجنان.

[3] الشاعر احمد بن الحسن النحوي، كتاب الحجج الواضحات.

((ولاة الأمر))، فالأمر ينزل عليهم ثم يمضون عليه فيصبح من الأمر المحتوم ثم يُوَزَّعْ. قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله : فيها يفرق كل أمر حكيم، قال : تلك هي ليلة القدر، يكتب فيها وفد الحاج وما يكون فيها من طاعة ومعصية أو موت أو حياة ويحدث الله في الليل والنهار ما يشاء ثم يلقيه إلى صاحب الأمر. وفي رواية أخرى إلى صاحب الأرض، قال الحرث بن المغيرة البصري : قلت ومن صاحب الأرض؟ قال عليه السلام، هو صاحبكم)) [١] وقال الإمام الصادق عليه السلام لأبي الهذيل : يا أبا الهذيل إنا لا يخفى علينا ليلة القدر، إنَّ الملائكة يطوفون بنا فيها، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: أمنوا بليلة القدر إنها تكون لعلي ابن أبي طالب ولولده الأحد عشر من بعدي)) [٢].

إنَّ الملائكة والروح كانوا ينزلون في ليلة القدر على رسول الله في حياته، وبعد وفاته فانهم ينزلون بالأمر الحكيم على أوصياء رسول الله وهم الأئمة المعصومين

---

[١] بصائر الدرجات، ص٢٤٠.

[٢] خصال الصدوق، ص٤٨٠. باب الأثني عشر.

إماماً بعد إمام حتى يصل الأمر إلى صاحب الأمر من أهل البيت عليهم السلام. قال الفيض الكاشاني : وذلك لأن في ليلة القدر ينزل كل سنة من تبيين القرآن وتفسيره ما يتعلق بأمور تلك السنة إلى صاحب الأمر عليه السلام، فلو لم تكن ليلة القدر لم ينزل من أحكام القرآن ما لا بُدَّ منه في كل أمر جديد، بل لم ينزل من الأمر شيئاً مالم يكن هناك ولاة الأمر الذين يستقبلون نزول ذلك الأمر، وإذا لم يكن ولاة الأمر موجودين فهذا يعني أن القرآن أصبح غير موجود، لأنهما متلازمان لن يفترقا.

ومن هنا صار ضرورياً للإنسان المؤمن معرفة ولي أمره والحجة عليه ولا بد للإنسان من حلقة ارتباط مع مولاه، لأن ولي الأمر ملتفت إلى المؤمنين ويتفقدهم إذا غابوا أو انحرفوا عن الطريق، فقد ورد في الروايات الكثيرة، أنَّ أعمال العباد تُعرض على الإمام صاحب الأمر وسلطان العصر، وأنَّ انفاسُ الإمام هي رعاية محبيه والدعاء لهم، وقد جاء عن النبي الكرم صلى الله عليه وآله وسلم : من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية))[1]. وكان

---

[1] الكافي، ص٣٧٦. الشيخ الكليني.

تأكيد الأئمة واضحاً على ضرورة معرفة الإمام واتِّباع نهجه وكذلك ترسيخ مفهوم الإمامة الملازم لوجود القرآن وأنهما لن يفترقا عن بعضهما، فجاءت الأخبار مستفيضة وكثيرة، يقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : لو بَقيتْ الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخَتْ بأهلها))[1]، أي انقلبت وماجت بأهلها ولم تستقر بحال من الحوال، فوجود الإمام يعني بقاء القرآن، وبقاء ليلة القدر متجددة في كل سنة وهي تأتي بجديد ما قَدَّر الله لعباده والإمام مُطَّلِعٌ عليه، فصار قبيحاً عقلاً الآن عندنا، أن يكون الإمام الحجة بن الحسن موجوداً وهو غير مُطَّلِع على أحوال ليلة القدر أو أنه لا يعرف ماذا يجري فيها. يقول السفير الثاني للإمام الحجة. محمد بن عثمان العمري : والله أنَّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، –يعني موسم الحج– يرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه)) [2] والإنسان لكي يَهْنأ بأنفاس الإمام عليه السلام وكأنَّه معه في كل حين، عليه الاخلاص لله والحرص على حفظ دينه، وأداء الصلوات في

[1] الكافي ، ج١، ص١٧٩. الحديث (٩٢) كتاب الحجة.

[2] كتاب الغيبة، ص٣٦٣. الشيخ الطوسي.

أوقاتها وذكر الله في كل حين ورعاية مصالح العباد وعدم البغي على الناس والإقلاع عن الذنوب، والتفقه بالدين، وانتظار الفرج بيقين، وترك فضول الكلام وما لا يعنيه وتطهير النفس وزجرها وتحصيل مكارم الأخلاق.

هل هي ليلة واحدة؟

إن لشهر رمضان الكريم خصوصيته من بين جميع الشهور لكونه الشهر الوحيد الذي فرض الله فيه الصوم، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى قد اختار من الأيام يوم الجمعة ومن الشهور شهر رمضان ومن الليالي ليلة القدر، وهذا يُعَدُّ من الألطاف الإلهية للعباد، كما يعني أنَّ بعض الأزمنة تحظى بعناية خاصة من الله تعالى، إما لكونها تتزامن مع وقائق مهمة حدثت فيها أو أنها بعلم الله الغيبي لها شأن خاص ونحن لا نعرفه، فمن لطف الله ورعايته للعباد يشير إلى هذه الأزمنة وأهميتها. لكي يكون للإنسان وقفة بين يدي الله سبحانه، فشهر رمضان هو أفضل الشهور عند الله كما ورد في خطبة النبي الأكرم

ﷺ، فقد روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه، عن جده أمير المؤمنين، أنَّ رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم فقال : ((أيها الناس قد اقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور وايامه أفضل الأيام وساعاته أفضل الساعات، شهر دُعيتُم فيه إلى ضيافة الله، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم عباده ودعاؤكم مُستجاب)).

فيظهر واضحاً لنا كم هو عظيم هذا الشهر من خلال خطبة النبي الأكرم حيث النوم عباده والانفاس تسبيح، ويا لها مِنْ دعوة من رِبٍ رحيم.

إن الله تعالى يحاسب الناس على قدر عزمهم وصدق نياتهم وإنما الأعمال بالنيات ولكل أمرء ما نوى وهو العليم الخبير جل شأنه. فلعل الإنسان المؤمن يتعبد الشهر كله إلا ليلة القدر لعلّةٍ أصابته أو لظرف طارئ حَلَّ به مع أنه كان ينتظر هذه الليلة ويستعد لها، فالعقل يقطع بأنَّ الله يحتسب له أجر هذه الليلة المباركة، وقد يُحييها أخر وقلبه شاك أو متكاسل عنها لا يقوم للذكر والعبادة إلا متثاقلاً، فقد لا يُحتسب له أجر، ونحن هنا لا نجزم لأن رحمة الله

وسعتْ كل شيء، لكن العقل يقودنا إلى هذا القول بأن نية الإنسان خيرٌ من عمله كما ورد في الأحاديث الشريفة، ولذا ورد في الحديث : ((نوم على يقين خير من عبادة في شك)) (١).

مقدمة الليلة :

إن ليلة القدر هي ليلة واحدة كما نَصَّتْ عليها الآيات الكريمة، ولكن لهذه الليلة مقدمات من الليالي التي تسبق هذه الليلة، فليلة السابع عشر من شهر رمضان الكريم هي ليلة موقعة بدر الكبرى حيث نصر الله فيها المسلمين بنصره المبين وورد ذكرها في القرآن الكريم، وليلة التاسع عشر هي ليلة جرح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، والليلة الحادية والعشرين هي الليلة الأولى من العشر الأواخر والليلة الثالثة والعشرين هي الليلة الثانية من العشر الأواخر، وقد ورد في استحباب التعّبد بالليالي العشر الأواخر روايات عديدة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتفرغ للعبادة فيها ويأمر أهل بيته كذلك. فمع أن القرآن الكريم

(١) تذكرة الخواص، ص١٠٥. الحافظ ابن الجوزي

يصرح بشكل لا يقبل التأويل أن ليلة القدر هي ليلة واحدة، لكننا وجدنا ومن خلال روايات وأحاديث الأئمة الأطهار أن هناك ليال تستبق ليلة القدر وتكون مقدمات مهمة لها، وممهدة يجري فيها الإعداد والتحضير. فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، الليلة التي التقى فيها الجمعان، وليلة تسع عشرة فيها يُكْتبُ وفد السَنَة وليلة أحدى وعشرون الليلة التي رُفع فيها عيسى وقُبضَ فيها موسى وليلة ثلاث وعشرون تُرجى فيها ليلة القدر)) [١].

وروى في الكافي عن إسحاق ابن عمار قال: قلت لأبي جعفر الباقر ما معنى يلتقي الجمعان؟ قال عليه السلام: يجع الله فيها ما أراد من تقديمه وتأخيره وأرادته وقضاءِه قال، قلتُ فما معنى يُمضيه في ثلاث وعشرين؟ قال عليه السلام: يفرقه في ليلة إحدى وعشرين ويكون له فيه البداء[٢]، فإذا كان ليلة ثلاث وعشرين أمضاه فيكون من المحتوم الذي لا يبدو له فيه)) [٣].

---

[١] دعائم الإسلام، ج١، ص٢٨٢. القاضي المغربي.

[٢] سنتكلم لاحقاً عن البداء.

[٣] أصول الكافي، ج١، ص١٥٠. الكليني، باب المشيئة والإرادة.

ولأهمية هذه الليالي نهى رسول الله ﷺ أنْ يُغْفَلَ عن ليلة إحدى وعشرين وعن ليلة ثلاث وعشرين ونهى أن ينام أحد في تلك الليلة، فنلاحظ رغم أن ليلة القدر هي ليلة واحدة، إلا أن الروايات الصادرة عن النبي الأكرم وأهل بيته الطاهرين يحرصون فيها على توجيه الناس إلى عدة ليال ليجد الإنسان بعدها نفسه على إستعداد لإحياء الليلة الموعودة، لأنهم يرون أنه لا بُد للعباد من مقدمات عبادية في أكثر من ليلة حيث يكون للعبادة المتواصلة الكثيرة أثر بالغ في تغيير نفسية الإنسان وتوجيهها إلى الأنس بالعبادة والازدياد منها وكلما اقترب العبد في عبادته من الله، اقترب الله منه وفتح له باب اللطف والرحمة، لذلك فإن مَن داوم على الصلوات في أوقاتها والنوافل وقراءة القرآن والدعاء وقيام ساعة من الليل، كل ذلك من شأنه أن يخلق حالة من الأنس والصفاء للإنسان حتى يصل إلى درجة لا يجد أحلى من العبادة لذة لروحه وقرباً، ولهذا حَثَّ الأئمة المعصومين مواليهم وطلابهم والمقربين وعامة الناس على إحياء العشر الأواخر من شهر رمضان والجد والإخلاص في الطاعة، روي عن زُرارة أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام

عن ليلة القدر، فقال الإمام : هي ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، قال : أليس إنما هي ليلة؟

قال الإمام : بلى .

قال فأخبرني بها!

قال الإمام : ((وما عليك أن تفعل خيراً في ليلتين)) [١].

ثم أن الليالي التي ترافق ليلة القدر هي ليالي عظيمة الشرف وكثيرة الخير ويحدث فيها ما يحدث من مقدمات الأمر الإلهي فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : ((في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان يكون التقدير، وفي ليلة إحدى وعشرين يكون القضاء، وفي ليلة ثلاث وعشرين يكون إبرام الإمضاء لما يكون في السنة إلى مثلها ولله جل ثناؤه أن يفعل ما يشاء)) [٢].

ومثل هذه الرواية ما ورد أيضاً في المصدر السابق من كتاب الأقبال أنه قيل للإمام الصادق (عليه السلام) : الأرزاق تُقسم في ليلة النصف من شعبان؟، فقال : لا والله ما ذلك

---

[١] وسائل الشيعة، الحر العاملي.

[٢] أقبال الأعمال، ج١، ص١٥٠. ابن طاووس.

إلا في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان واحدى وعشرين وثلاث وعشرين، فإنه في ليلة تسع عشرة يكون التقدير وفي ليلة إحدى وعشرين يُفْرَقُ كل أمر حكيم، وفي ليلة ثلاث وعشرين يمضي ما أراد الله عز وجل من ذلك وهي ليلة القدر التي قال الله تعالى عنها إنها خير من ألف شهر.

فالظاهر من الروايات أن هناك مقدمات لليلة القدر فليلة التاسع عشر من الشهر الكريم يلتقي الجمعان، أي يجمع الله فيها ما أراد من تقديمه وتأخيره وإرادته وقضائه، فهي ليلة التقدير حيث يقدر الله للناس أقدارهم وما يستحقون من خير وعافية وبلاء وحياة وموت وأرزاق وغير ذلك.

فهذا كله يقدر في هذه الليلة، ليلة (تسع عشرة) وليلة الحادي والعشرين يجري القضاء لذلك التقدير حيث تقرن المقادير بأهلها ويكتب لفلان كذا ولفلان كذا وكذا، أما في ليلة الثالث والعشرين فهي (ليلة الإبرام) أي ابرام ما يكون في السنة بأكملها، أي القضاء الذي أصبح مفروغاً منه تماماً وتسمى أيضاً ليلة الإمضاء، أي أن الأمر الذي قدره

الله تعالى أصبح من المحتوم الذي لا يُرد ولا يُبدل، أي لا يكون فيه (البداء). وقال الفتّال النيسابوري : اتفق أكثر مشايخنا على أن ليلة القدر هي ليلة ثلاث وعشرين)) [١].

ومن هنا تتضح عِلّة الإخفاء لهذه الليلة المباركة رغم ما ذكرنا من الروايات التي ترجح الليلة الثالثة والعشرين، لكن ليس جزماً وإنما يبقى الأمر لله من قبل ومن بعد، فأنَّ الله تعالى يريد توجيه العباد إلى الاهتمام بجميع هذه الليالي المباركة ولكسب المزيد من الثواب في أوسع دائرة ممكنة من خلال إحياء هذه الليالي بالذكر والعبادة وطلب الحاجات لأنه بناءاً على ما يجري في كل ليلة من هذه الليالي، لا يصح من الإنسان المترقب لفضلها وعظيم قدرها أن يكون غافلاً خلال هذه الليالي المتوقع من أحداثها أنها ليلة القدر، على أن استيعاب الشهر كله بالأعمال الصالحة والصلاة والدعاء والاستغفار والتذلل من شأنه أنْ يرفع الإنسان قدراً يمكنه تحصيل درجات أعلى عند الوصول إلى ليالي العشر الأواخر، وهذا هو الأنسب والأصلح، فلعل الناس لو علموها فلربما رغبوا عن غيرها

[١] روضة الواعظين، ص٣٤٨. للنيسابوري.

من ليالي الشهر الذي أيامه خير الأيام ولياليه خير الليالي وساعاته خير الساعات، واقتصروا جهدهم لليلة واحدة، وعندئذ لا يكون العمل فيها إلا وكأنه برنامجاً احتفالياً نستعرض فقراته الواحدة تلو الأخرى وتنتهي المراسيم ويسدل الستار دون أن تكون هناك رغبة حقيقية للعبادة. كما أن الله تعالى أخفى أموراً لمقتضى الحكمة والتدبير ولمزيد من النفع الذي أراده للعباد، فقد أخفى رضاه بين أنواع الطاعات كي يتجه الناس إلى جميع الطاعات كما وأخفى غضبه بين المعاصي كي يتجنب العباد جميعها، وأخفى أوليائه وأحباءه بين الناس كي يُحترم كل الناس واخفى الاسم الأعظم بين أسمائه كي تُعظم كل أسمائه، واخفى وقت الموت كي يكون الناس على استعداد دائم.

ماذا يحصل بعد التقدير والقضاء :

قال تعالى ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ حيث تتلقى الملائكة الأمر الإلهي وتنزل به إلى ولاة الأمر، حيث في كل زمان إمام

حجة هو ولي الأمر، وتوضع هذه المقادير والعطايا وكل ما قدر الله لعباده وجرت عليها المشيئة الإلهية بين يدي الإمام ولي الأمر، وتسلم أفواج الملائكة باذن ربهم وبأمر ربهم على الإمام وتطوف بجموع المؤمنين الذين قضوا ليلهم عبادة ودعاءً وتُسلّم عليهم، (سلام هي حتى مطلع الفجر)، أي خَيرٍ ونِعَمٍ وأمان وبركه، والإمام شاهد على ما يجري وعلى ما أعطى الله لعباده وقدّر. فالملائكة إذن تتزل بالأمر على ولي الأمر أو صاحب الأمر وهو من الألقاب المشهورة للإمام الحجة ابن الحسن (عليهما السلام) في عصرنا هذا، وقد دلّت الأخبار على أن الأئمة يعلمون بالعلم الذي وهبهم الله تعالى، وأن هذه المعرفة ضرورية لا غنى عنها ليتوثق الارتباط بينهم وبين شيعتهم ليكونوا بعد ذلك الوسيلة التي نلتمسها إلى الله لعلمهم بحالنا وبهذا يكونوا كذلك حجج الله على الخلق فهم رسل وحيه وخزائن علمه وهم أئمة الهُدى ومصابيح الدُجى وأعلام التُقى ومنار الهدى والعروة الوثقى ومعدن الحكمة وفصل الخطاب، وقد ورد في زيارة الجامعة الكبيرة : ((السلام على الأئمة المطيعون لله القوامون بأمره العاملون بإرادته الفائزون

بكرامته اصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيبه واختاركم لسره وأيدكم بروحه ورضيكم خلفاء في أرضه وحججاً على بريته)).

ويصرح الأئمة (عليهم السلام) بأن علمهم مأخوذ إمام عن إمام حتى يصلوا إلى جدهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال : ((علمني أخي وحبيبي رسول الله ألف باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب)) ويؤكد النبي الأكرم هذه الحقيقة بقوله المشهور : ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) وهو حديث اشهر من نار على علم. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : ((لولا أننا نزداد كل جمعة لنفذ ما عندنا)) [1].

---

[1] الكافي، ج١، ٥٤. للشيخ الكليني.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

البداء والمشيئة في ليلة القدر :

يتمسك علماء الإمامية في القول في (البداء) بأحاديث صحيحة وردت عن أهل البيت سلام الله عليهم، بالمعنى الذي لا ينافي علمه تعالى ولا يستلزم جهله (جل شأنه) بواقع الأمور، فما هو البداء؟

البداء في الأصل هو الظهور، ظهور شيء بعد خفائه، ويتعدى باللام فيقال بَدا لي وبدا له وكثيراً ما يأتي بمعنى التحّول والإنتقال من رأي إلى آخر ومن عزم إلى عزم جديد فيقال بدا له فيه أمرٌ جديد.

وهو بهذا المعنى غير جائز على الله، ولا يُوصَفُ به، ولا يصح إسناده إليه، أي بمعنى أنَّ الله لم يكن خافياً عليه شيء ثم عَلِمَ به فيما بعد، بَل أنَّ الله تعالى كان عالماً منذ الأزل بحقائق الأشياء وماهياتها، ثم أن هذه الماهيات إذا جرى بها الحدث أي تحولت من ماهيات إلى حقائق سلباً أو ايجاباً قد يجري فيها البداء إنْ أراد الله ذلك، أي

بمشيئته، كما لو أنَّ رجلاً أذنب فأثبت الله عليه ذنبه، فإن استغفر بعد ذلك وندم وتاب، فانَّ الله إن اراد أن ينظر فيه أمراً أخراً فله الأمر في ذلك فيمحو ذنبه ويقبل توبته، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] ، فهذا أقرب مثال لبيان مفهوم البداء وما قالت به الإمامية وليس كما يدعي البعض في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٢]، حيث يقول الفخر الرزاي في تفسيره لهذه الآية، : قالت الرافضة[٣]، البداء جائز على الله تعالى، وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أنَّ الأمر بخلاف ما اعتقده وتمسكوا فيه بقوله : ((يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)) والشيعة بريئون من هذا الكلام الذي نسبه الفخر الرازي اليهم، فنحن لا نقول ذلك على الله سبحانه وتعالى عما يصفون، بل نقول إن علم الله من لوازم ذاته

[١] سورة الأنعام : آية ٥٤ .

[٢] سورة الرعد : آية ٣٩ .

[٣] التفسير الكبير مجلد العاشر، ص٥٣. الفخر الرازي.

المخصوصة، وأنه عالم بكل صغيرة وكبيرة كانت أو ستكون وله المشيئة في التقديم أو التأخير أو المحو أو الإثبات، فإنْ شاء عفى وإنْ شاء عاقب قال تعالى: ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[1].

البداء من أبواب رحمة الله وعدله:

يُعد البداء من أركان رحمة الله وعدله في الخَلْق أجمعين، فأما ما كان من رحمته، فهو ما عليه في قبول توبة المذنبين إذا تابوا، وإلاّ لَزِمَ غلق باب الدعاء وباب التوبة، قال تعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾[3].

وأما ما كان من عدله، فلعل الله كتب لعبده من الأجر والثواب على عمل ما، ثم أنه بعد ذلك داخله العُجب والرياء حتى استكبر على الناس وَمَنَّ عليهم، فعندئذ يمحو

---

[1] سورة الأعراف : آية ١٥٦ .
[2] سورة غافر : آية ٦٠.
[3] سورة طه : آية ٨٢ .

الله ذلك الأجر وقد يثبت عليه الإثم والأخبار الواردة في هذا كثير.

إن الله تعالى لا يقضي بما هو في علمه المكنون على ما يفعله الإنسان إلا إذا وقع الفعل من باب (لا يجوز القصاص قبل الجناية)، قال تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [1]، وإلا فمِنَ الثابت في عقيدتنا أنَّ الله تعالى عنده علم ما كان وما يكون، قال جل وعلا : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [2]، فعلى سبيل المثال كان الإمام الحسين في واقعة كربلاء يحذر الناس الذين جاءوا لقتاله قبل البدء بالقتال، فإن مصيرهم يحتمل أحد أمرين :

الأول : أن يتوبوا إلى الله ويعتذروا ويكفوا عن قتال الإمام فيكون شأنهم بذلك شأن الحر رضي الله عنه الذي أعلن ندمه

[1] سورة فصلت : آية ٤٦ .

[2] سورة سبأ : آية ٣ .

وتوبته واستفاد من مواعظ الإمام وتاب وأستغفر ثم استشهد مع الإمام فكان مصيره إلى الجنة.

الثاني : أن لا يستجيبوا لكلام الإمام ويقاتلوه، فيستحقون بذلك النار.

فالله تبارك وتعالى جعل الإنسان حراً في تقرير مصيره واختيار أي الطريقين، فالأمر متروك للإنسان وهو وحده يستطيع رسم طريق أخرته من خلال ما يقدم ويختار في دار الدنيا. والآيات الدالة في هذا المقام كثيرة منها : ﴿ **وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ** ﴾[1]، ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾[2]، ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا** ﴾[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ **يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾ فأم الكتاب هو أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ عن المحو والتبديل، وهو جامع للكل، فيه إثبات المثبت وإثبات الممحو ومحوه وإثبات بدله ينسخ ما ينبغي

---

[1] سورة البلد : آية ١٠ .

[2] سورة الإنسان : آية ٣ .

[3] سورة الشمس : آية ٧، ٨، ٨، ١٠.

نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته، ويمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها ويمحو من كتاب الحفظ ما لا يعلق به جزاءً ويترك غيره مُثبتاً أو يثبت ما رآه في صميم قلب عبده ويمحو الفاسدات ويثبت الكائنات ويمحو قَرْناً ويثبت آخرين، والأخير مروي عن أمير المؤمنين رواه في المجمع وهو أحد معانيها المراد بها كلها وهو كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [2] . وعن علي ابن إبراهيم القمي في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام قال : إذا كانت ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكَتَبة إلى سماء الدنيا فكتبوا ما يكون من قضاء الله لتلك السنة فإذا أراد الله أن يُقَدِّم شيئاً أو يؤخره أو يُنْقِصُ شيئاً، أمر الملائكة أن تمحو ما يشاء ثم أثبت الذي أراد)) [3].

فهذا المحو والإثبات كله في كتاب اللوح وهو بيد الله تعالى، إنْ شاء محى وإنْ شاء أثبت، وفي ذلك المحو

---

(1) سورة المؤمنون : آية ٣١ .

(2) سورة طه : آية ١٢٨ .

(3) تفسير القمي، ٣٦٦/١. علي ابن ابراهيم القمي.

والإثبات تعبير عن مشيئة الله في خلقه وما يراه برحمته، وهو يعتمد –أي المحو والاثبات– على حركة الإنسان وسلوكه، قال الإمام الصادق (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إنَّ المرءَ لَيصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاث سنين فيمدها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإنَّ المرءَ ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثين سنة فينقصها الله تعالى إلى ثلاث سنين أو أدنى، ثم تلا الآية ((يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب))[1].

أمران : موقوف ومحتوم :

خلاصة القول في البداء هو أن قضاء الله تعالى إما محتوم أو موقوف فالمحتوم هو الذي لا يُرد ولا يبدل، بمعنى أنَّ الله تعالى قد أمضاه بمشيئته وأمره وأراد له أنْ يكون، كما جاء في دعاء الافتتاح الذي يُقرأ في كل ليلة من ليالي شهر رمضان الكريم، ((اللهم إني أسألك فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم وفي الأمر الحكيم من القضاء الذي لا يُرد ولا يُبدل...)) فهذا هو القضاء المحتوم

[1] تفسير القمي، ٣٦٦/١. علي ابن ابراهيم القمي.

الذي لا بد أن يقع والله تعالى قد امضاه إما لاستحقاق الإنسان نفسه لذلك القضاء، أو لحكمة الله في خلقه مثل الابتلاءات الدنيوية والتي تَعَرَّضَ لها حتى الأنبياء رغم قربهم من الله تعالى. وهذه الابتلاءات يضرب الله فيها الأمثال للناس وليريهم قدرته وهذا من السنن الإلهية التي جرت عليها القرون وليكن أولياء الله من الأنبياء والمرسلين أسوة حسنة لِخَلق الله، ولكي يسير نظام الحياة في الوجود وفق مبدأ الثواب والعقاب والرجاء والخوف.

أما القضاء الموقوف، فهو المتوقف على المشيئة الإلهية، إنْ شاء أمضى ما قدرَّه فصار نافذاً، وإنْ شاء رفعه ومحاه وأثبت عنه بديلاً حسب المصلحة ومقتضياتها، وعلمه بذلك سابق أزلي مكتوب، وبذلك يكون العلم علمان، أحدهما علم مخزون مكنون عنده سبحانه لا يعلمه إلا هو وفيه يقع البداء، وعلم أخر علمه لملائكته ورسله وأولي الأمر من عباده وأوصياء رسله بسبب من الأسباب مثل الإلهام أو إخبار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أو حديث الملائكة كالذي يحصل في ليلة القدر. وإلى هذا المعنى أشار الإمام الصادق عليه السلام : قال هما أمران موقوف ومحتوم فما كان

من المحتوم أمضاه وما كان من الموقوف فله المشيئة فيه يقضي ما يشاء. قال تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1]. قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[3].

ومن هنا تتضح أهمية الدعاء الواعي والعبادة التي يتوازن فيها الخوف والرجاء، لاسيما في عموم أيام وليالي الشهر الشريف وكذا الاستغفار واعلان التوبة والندم والبكاء، فأن التوفيق إلى ليلة القدر ونيل رضا الله تعالى يحتاج إلى توجه حقيقي، وإلى مراقبة شديدة للنفس الإمارة بالسوء، وإن الإنسان لقادر على مراقبة هذه النفس وزجرها وأن يكون خبيراً بأحوالها ومزاجها وأن لا يغفل عنها أبداً، قال رسول الله ﷺ : ((ربي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً)).

---

(١) سورة آل عمران : آية ٧٤ .

(٢) سورة الأسراء : آية ٣٠ .

(٣) سورة النجم : آية ٢٦ .

هل ليلة القدر واحدة لكل أهل الأرض :

من المؤكد أن ليلة القدر المباركة هي ليلة واحدة لكل أهل الأرض، لا أن لكل أهل بقعة ليلة خاصة، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾، فهي ليلة واحدة فقط وفيها يفرق كل أمر حكيم، ومن المعلوم أن تفريق كل أمر حكيم فيها لا يخص بقعة معينة من بقاع الأرض دون أخرى، بل يعم أهل الأرض أجمع، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد ورد في كثير من الروايات أن في ليلة القدر تكتب الأرزاق والآجال والمنايا والبلايا للناس وفيها يفرق كل أمر من عند الله تعالى، ومن الواضح أن كتابة الأرزاق والآجال وغيرها مما يخص شؤون تلك السنة إنما تكون لجميع أهل الأرض لا لأهل بقعة دون أخرى، كما كان نزول القرآن إلى سماء الدنيا نزلة واحدة في ليلة واحدة هي ليلة القدر.

وقد يرد سؤال وهو إذا كانت ليلة القدر واحدة لكل أهل الأرض فكيف نفسر الاختلاف في تحديد أول الشهر

من بلد لآخر؟ فنرى مثلاً في العراق تكون ليلة القدر هي ليلة الجمعة وفي بلد أخر تكون ليلة السبت، فلماذا هذا الاختلاف إذا كانت هي ليلة واحدة؟ وللجواب نقول :

أن الليلة الواحدة لها دورة كاملة لمدة أربع وعشرين ساعة وكذا النهار بالطبع، فمثلاً في العراق يكون الليل إحدى عشرة ساعة وحين ينقضي الليل عندنا فأنه يبدأ في بلد آخر وهكذا يمكن القول أن الليل هو ظل نصف الكرة الأرضية على النصف الآخر من هذه الكرة ونعلم أن هذا الظل يتحرك بتحرك الكرة الأرضية ويدور دورة كاملة في أربع وعشرين ساعة ومن هنا يمكن أن تكون ليلة القدر هي دورة كاملة لليل واحد حول الأرض، أي تكون هذه الليلة مدة أربع وعشرين ساعة من دوران (الظلام) أي الليل حول الكرة الأرضية بأجمعها تبدأ من نقطة وتنتهي بأخرى.

فأن بداية الليل لمّا يَصِل إلى كل بلد يكون عندهم أول الليل، أي لما كان عندنا وقت الغروب في تمام الساعة السابعة مساءً فأن هذا الغروب كان قبل نصف ساعة في إيران لأننا أقرب إلى مغيب الشمس منهم وسيكون الغروب بعد نصف ساعة في تركيا وهكذا،

وسوف يكون الغروب في بلد أخر بعد ساعتين وفي بلد رابع بعد خمس ساعات.

فإذا رأينا هلال شهر رمضان في غروب يوم الجمعة، فبعد ساعة يكون هذا الغروب في بلد أخر وبعد خمس ساعات يكون هذا الغروب في بلد ثالث وبعد عشر ساعات في بلد رابع وهنا يتغير الوقت عندهم من يوم إلى يوم آخر جديد، فيكون بداية شهر رمضان في العراق الجمعة مثلاً وفي تلك البلدان يكون السبت لتأخر المغيب عندهم بالقياس لوقته عندنا، وذلك تبعاً لوقت حلول أول الليل في كل بلد وهكذا، ولهذا لمّا سُئل الإمام الصادق عليه السلام في خبر ابن ابي حمزة قال كنت مع الإمام فسأله أبو بصير : جُعلت فداك الليلة التي يُرجى فيها ما يُرجى، فقال في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين قال : فإن لم أقوَ على كلتيهما؟ قال الإمام : ما أيسر ليلتين فيما تطلب، قلت : فربما رأينا الهلال عندنا وجاء من يخبرنا بخلاف ذلك من أرض أخرى؟ فقال الإمام : ما أيسر أربع ليالي فيما تطلبها فيها، أي ليلة القدر[1].

---

[1] أصول الكافي، ج٤، ص١٥٦. الشيخ الكليني

رؤية الهلال وآراء العلماء :

للعلماء – أعزهم الله– آراؤهم الفقهية في موضوع رؤية الهلال وطرق ثبوت الرؤية. فهل أن رؤيته في بلد مجاور يمكن الاعتماد عليها وتكون حجة للصوم في بلد المكلف أم لابد من رؤيته في نفس بلد المكلف؟

أولاً فيما قال فيه العلماء حول ثبوت رؤية الهلال، لابد من شرط يتوفر من هذه الشروط الثلاث :

١- أن يراه المكلف بنفسه، وهذه تكون حجة كافية لاطمئنانه بدخول شهر رمضان المبارك.

٢- أن يتيقن أو يطمئن لشياع أو نحوه برؤيته في بلده.

٣- مضي ثلاثين يوماً من شهر شعبان. وكذا في تحقق شهر شوال وتحديد اليوم الأول لعيد الفطر حيث يكون بتحقق أحد الشروط المتقدمة وإلا لم يجز الإفطار))[١].

علماً أن المبنى الفقهي يختلف من فقيه لأخر، ويمكن تقسيم آراء العلماء إلى رأيين :

---

[١] المسائل المنتخبة، للسيد السيستاني، ص٢٠٦، دار المؤرخ العربي، بيروت.

١- بعض العلماء -أعزهم الله- يكفيه في ثبوت دخول الشهر إذا رؤي الهلال في أية بقعة من الأرض فإنه يثبت لغيره من البلدان المشتركة معه في جزء من الليل سواء كان في أول الليل هذا الاشتراك أم في آخره، وللعلماء دليلهم في ذلك.

٢- البعض الأخر من العلماء يقول أن العبرة في دخول الشهر في كل مكان هو رؤية الهلال في ذلك المكان لا في غيره سواءً كانت الرؤية في بلاد بعيدة أو مجاورة لبلد المكلف، فالمهم أن يراه في بلده، كما أنه لا بد من رؤيته بالعين المجردة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته). وهناك كلام طويل في وجوه الاستدلال بكل رأي من آراء الفقهاء ونحن هنا نكتفي بهذه الإشارة القصيرة جداً ولا نخوض في كلام أكثر لأنه قد يكون خارج موضوع الكتاب.

ليلة القدر عند العارفين :

((ليلة القدر هي ليلة الصفاء والنقاء، هي ليلة الشكر والمدح والثناء وليلة العروج والارتقاء وليلة المكوث والبقاء..)).

يتخذ أولياء الله منها رمزاً عميقاً في التوجه إلى الله، يجسدون أخلاق العارفين رغم علمهم أن كل ليلة يُطاع الله فيها هي أعظم الليالي بركة وفوزاً، وأنَّ الليلة التي يغفل الإنسان فيها عن ذكر الله فانها اعظم خسارة تكون عليه.

ينقل أحد طلبة الشيخ الانصاري قدست نفسه الشريفة أنه خرج مع طلابه من حرم الإمام الحسين عليه السلام في إحدى ليالي شهر رمضان المبارك، فقال لطلابه الذين يحيطون به، علينا أن نذهب إلى مجلس الشيخ جعفر الشوشتري ونستفيد من وعظه فإن قلوبنا مالت إلى القسوة وهو يريد بذلك ان يعلمهم الرغبة بحضور مجالس الشهر الكريم، ويقول لهم إن العالِم ليس فقط بعلمه إنما بالتربية الروحية حيث بدونها يحصل في الروح عطشاً وقد تموت.

فليالي شهر رمضان عظيمة وليلة القدر أعظم لاسيما عند الذين يعرفون أسرارها العظيمة.

يقول تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾ ويضاف إلى بركتها الذاتية بركات نزول الملائكة التي تسلم فيها على المشتاقين لنور الله مستغرقة ليلها حتى فجرها، فهي ليلة الصوت الذي يصعد سريعاً لا يحجبه حاجب، صوت العارفين فيها يتعالى حتى تأخذه الملائكة والروح فيها، والله تعالى بالمنظر الأعلى يسمع ويرى وهو السميع البصير، فأي لذة تضاهي لذة المشتاق لربه وهو عارف أَنَّ الله ينظر إليه ويراه!. يقول الإمام الحسين عليه السلام لما أُثْخِنَ بالجراح وما عاد ليقوى على النهوض لشدة الضرب والطعن ونزف الدماء : ((اللهم إنه ما هَوَّنَ عليَّ فيما أنا فيه، إنه بعينك التي لا تنام)) ثم يقول ((ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك)) [1].. إن المتقين حقاً هم الذين شعروا بقصر هذه الدنيا فزهدوا فيها واستبطأوا الآخرة فسعوا إليها شوقاً لما أَعَدَّ الله لهم، أولئك الذين اختزلوا الدنيا بأيام، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : (الدهر يومان، يوم لك ويوم

[1] حكمة العبادات، ص١٧٢. الشيخ عبد الله الجوادي الآملي.

عليك) إن المؤمنين الذين انشغلت أرواحهم بنور الله، ما عاد يغريهم الضوء الطارئ لأنهم عرفوا كيف ينظرون بنور الله، ذلك النور الدائم، لذا فهم يستأنسون بالخلوة والعزلة، يستشعرون كيف تأخذ أنفاس السماء بأرواحهم وتشبعهم نسيماً ما مر على أنوف البشر.

لهذا ورد في تفسير بعض العارفين للآية الكريمة ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ قالوا : الاستغراق في العبادة حتى ترى وتشاهد ما وراء هذه النشأة من آيات الله الباهرة وحججه الظاهرة وهي أفضل الكمالات الإنسانية والنفسية وأعظمها وهذا هو اليقين. إن ليلة القدر هدية الله تعالى لعباده تتجدد كل سنة بعطاء جديد وأمر جديد، وقد ورد عن بعض العلماء -تقدست أسرارهم- ((إن ابتداء عمارة هذا العالم إنمّا كان في ليلة القدر ولكي تستمر هذه العمارة للوجود بأسره فلابد من إعادة النظر في كل سنةٍ في هذا الوجود، فيتجدد هذا الأمر في ليلة القدر من كل سنة))[1]. لهذا أكدت أحاديث النبي الأكرم وأهل بيته

[1] آداب السالكين، ص٦١٢. الفيض الكاشاني.

(صلوات الله عليهم) على أهمية هذه الليلة، قال رسول الله ﷺ:((من حُرِمَ ليلة القدر فقد حُرِمَ الخير كله))[1].

ومن جميل ما نقرأ من دعاء في هذه الليلة المباركة هو ما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام : ((اللهم لا تُخيبني من جزيل قَسَمِك في هذه الليلة لأهل طاعتك، واجعلني في جُنة من شرار خلقك ... إلهي تعرض لك في هذا الليل المتعرضون وقصدك فيها القاصدون وأَمَّلَ فضلك ومعروفك الطالبون، ولك في هذا الليل نفحات وجوائز وعطايا ومواهب تَمُنُّ فيها على من تشاء مَنْ عبادك وتمنعها من لم تسبق له العناية منك، وها أنا ذا عُبيدك الفقير إليك المؤمل فضلك ومعروفك، فإن كنت يا مولاي تفضلت في هذه الليلة على أحدٍ من خلقك وَعُدْتَّ عليه بعائدة من لطفك فصل على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين وَجُدْ عليّ بطولك ومعروفك يا رب العالمين))[2].

---

(1) صحيح مسمل، رقم الحديث ١١٧٤، مسلم بن الحجاج النيسابوري.

(2) مصباح المتهجد، ص٨٣٣. الشيخ الطوسي.

أعمال ليالي القدر المباركة :

يمكن الإطلاع بشكل تفصيلي على أعمال ليالي القدر المباركة من خلال مراجعة كتب الأدعية والزيارات ومن هذه الكتب كتاب (عمدة الزائر) وكتاب (ضياء الصالحين) وكتاب مفاتيح الجنان للشيخ الجليل عباس القُمي طيّب الله ثراه. ولا بأس هنا من ذكر أهم الأعمال الواردة لاسيما في الليالي الوتر من العشرة الأخيرة من الشهر الشريف، ومن هذه الأعمال :

الأول : الغسل وهو مستحب استحباباً مؤكداً، قال العلامة المجلسي (قدس سره) في كتاب (زاد المعاد)، إن أفضل الأوقات للغسل ما كان مقارناً لغروب الشمس بحيث تقع بعده صلاة المغرب ويمكن للنساء تأخير هذا الغسل.

الثاني : يستحب إحياء هذه الليالي المباركة بالاستغفار والعبادة والصلوات وكذلك قراءة القرآن الكريم ولاسيما السور المنصوص عليها كسورة الروم والدخان والعنكبوت.

الثالث : دفع الصدقات للمستحقين من الفقراء بكل ما أمكن من طعام أو مال أو كلمة طيبة.

الرابع : إعلان التوبة والإكثار من الاستغفار وذكر الله.

الخامس : استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفضلها كبير وثوابها جزيل بشرطها وشروطها، فقد جاء في كتاب (التهذيب) عن الإمام الصادق أنه قال : ((إذا كانت ليلة القدر وفيها يفرق كل أمر حكيم نادى مناد من بطنان العرش إن الله تعالى قد غفر لمن أتى قبر الحسين في هذه الليلة)) [1]. على أن قبول الزيارة يتوقف على التقوى والصدق والسيرة الطيبة للإنسان، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [2].

السادس : استحباب صلاة ركعتين في كل ركعة تقرأ الحمد مرة وسورة الاخلاص سبع مرات، وبعد الفراغ من الصلاة تقول سبعين مرة استغفر الله وأتوبه إليه. وفيها غفران الذنوب لمن صلاها ولأبويه.

---

[1] مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي.

[2] سورة المائدة: آية ٢٧ .

السابع : استحباب صلاة مائة ركعة ففيها فضل كبير وأجر عظيم والأفضل أن تقرأ بعد الحمد سورة الإخلاص عشر مرات وإن لم تستطع خمس مرات، ويمكن الإتيان بها من جلوس.

الثامن : استحباب قراءة دعاء الجوشن الكبير وهو من الأدعية التي ترقق القلب.

التاسع : استحباب التوسل بالقرآن الكريم، فقد جاء في كتاب (الإقبال) عن الإمام أبي جعفر الباقر عليهما السلام أنه قال : تأخذ المصحف في ثلاث ليال من شهر رمضان الكريم فتنشره وتضعه بين يديك وتقول : ((اللهم إني أسألك بكتابك المنزل وما فيه وفيه إسمك الأعظم واسماؤك الحسنى وما يُخاف ويُرجى أن تجعلني من عتقائك من النار)) وتدعو بما تريد لقضاء الحوائج، وكذلك تضع المصحف على رأسك وتقول : بك يا الله (عشر مرات) بمحمد (عشر مرات) بعلي (عشر مرات) وهكذا حتى تأتي بأسماء الأئمة كلهم عليهم السلام.

وهناك أعمال أخرى كثيرة منها أن تصلي ما فاتك من الصلاة الواجبة كقضاء ما في الذمة، وحضور مجالس العزاء لاسيما تلك التي تعقد في ليلة التاسع عشر من الشهر الشريف في ذكرى جرح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولعن قاتليه، وهناك المزيد من الأعمال لمن أراد الزيادة.

خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : أن رسول الله خطبنا ذات يوم (وقيل في أخر جمعة من شهر شعبان) فقال : ((أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات، شهر دُعيتم فيه إلى ضيافة الله وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب، فأسألوا الله ربكم

بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فإن الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم وأذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشها، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم ووقّروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم واحفظوا السنتكم وغضّوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننوا على أيتام الناس يُتحَنَن على أيتامكم وتوبوا إليه من ذنوبكم وأرفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فأنها أفضل الساعات ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده، يلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه..

أيها الناس، إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم وأعلموا أن الله تعالى ذكره أقسم بعزته أن لا يعذب المصلين والساجدين وأن لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين..

أيها الناس : من فَطَّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى

من ذنوبه، قيل يا رسول الله وليس كلنا يقدر على ذلك فقال رسول الله ﷺ : إتقوا النار ولو بشق تمرة، إتقوا النار ولو بشربة من ماء فإن الله يهب ذلك الأجر لمن عمل هذا اليسير إذا لم يقدر على أكثر منه.

أيها الناس، مَن حَسَّنَ منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على السراط يوم تزل فيه الأقدام، ومَنْ خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه ومَنْ كَفَّ فيه شره كَفَّ الله عنه غضبه يوم يلقاه ومَنْ اكرم فيه يتيماً اكرمه الله يوم يلقاه ومَنْ وصَل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ومَنْ تطوَّع فيه بصلاة كتب الله له براءة مَنْ النار ومَنْ أدىَّ فيه فرضاً كان له ثواب مَنْ أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ومَنْ أكثر فيه الصلاة علي ثقل الله ميزانه يوم تخف الموازين ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيها الناس، إن أبواب الجنة في هذا الشهر مفتحة فاسألوا الله ربكم أن لا يغلقها عليكم وأبواب النيران مغلقة

فاسألوا الله ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فاسألوا الله ربكم أن لا يسلطها عليكم..)) [١].

يا لها من رحمه!

روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) إن النبي الأكرم ﷺ كان إذا دخل شهر رمضان فك كل أسير وأعطى كل سائل، فشهر رمضان هو شهر الله وهو أشرف الشهور تفتح فيه أبواب الجنان والرحمة وفي هذا الشهر ليلة تكون العبادة فيها خير من ألف شهر، فانتبه كيف تصون جوارحك وأعضائك عن معاصي ربك وإياك أن تكون نائماً في ليلتك وفي نهارك من الغافلين عن ذكر الله تعالى ففي الحديث، أن الله يعتق في كل يوم عند الإفطار من الشهر الكريم ألف رقبة من النار. فإذا كانت ليلة الجمعة ونهارها أعتق الله من النار في كل ساعة ألف رقبة ممن قد استوجب العذاب. فإياك والغفلة عن عطاء الله تعالى، وإياك أن ينقضي عنك الشهر وقد بقي عليك ذنب من الذنوب أو أن تكون من المحرومين من الاستغفار

---

[١] مفاتيح الجنان، ص١٧٥.

والدعاء، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) : إذا أصبحتَ صائماً فليصم سمعك وبصرك وجلدك وجميع جوارحك، ليس عن المحرمات فحسب بل حتى عن المكروهات. وقال (عليه السلام) : ((إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحدهما، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب وغضّوا أبصاركم عما حَرّم الله ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تغتابوا ولا تماروا ولا تسابوا ولا تشاتموا ولا تظلموا ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة والزموا الصمت والصدق والصبر ومجانبة أهل الشر واجتنبوا قول الزور والكذب والفِرْيَ والخصومة وسوء الظن والغيبة والنميمة وكونوا مشرفين على الآخرة منتظرين لأيامكم ولما وعدكم الله متزودين للقاء الله وعليكم السكينة والوقار والخشوع والخضوع وذل العبيد خائفين راجين)).

علامات ليلة القدر :

إن الله تعالى أحاط ليلة القدر برعاية خاصة ليميزها عن سائر الليالي تكريماً لها وبياناً لشرفها وتنبيهاً لمن يبحث عنها، فالأجواء طيبة كطيبتها وليتلائم ذلك مع

صفاء النفوس وليكون ذلك باعثاً على الارتياح والإقبال فيها والتزود بصالح الإعمال، فأن إعتدال الجو له أثره البالغ في خلق حاله من التلازم بين طيب الأجواء وحب العبادة، وكيف لا تكون كذلك والملائكة فيها يهبطون بكل أمر من عند الله بالخير والبركة والسلام، كيف لا والملائكة تعطر أنفاس المستغفرين والداعين والتوابين، حيث الناس بين قائم وراكع وساجد وقارئ للقرآن، كذلك والانفاس الشريفة لولي الأمر وهو يستقبل أفواج الملائكة وهم يسلمون عليه وعلى صالح المؤمنين.

روى محمد بن مسلم عن الإمام المعصوم عليه السلام : سأله عن ليلة القدر، فقال الإمام : من علاماتها أن يطيب ريحها، وإن كانت في برد دفئت، وإن كانت في حر بردت)) [1].

وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن إمارة ليلة القدر أنها صافية بلجه كأن فيها قمراً ساطعاً، وهي ليلة ساكنة لا برد فيها ولا حر، وإن إمارتها أنَّ الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل

[1] الأصول الستة عشر، ص١٥٥.

القمر ليلة البدر، لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها)) [١]. وكذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((ليلة القدر ليلة بلجه لا حارة ولا باردة، ولا سحاب فيها ولا مطر ولا ريح، ولا يُرمى فيها بِنَجْمٍ، ومن علامة يومها تطلع الشمس لا شعاع لها)) [٢].

---

[١] تفسير ابن كثير، ٥٦٨/٤.

[٢] مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، ٣٠٩/٤.

الخاتمة

خاتمة :

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : ((كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء والتعب حبذا نوم الأكياس وإفطارهم)) [1]، والأكياس هم أصحاب العقول واليقين والنيات الصادقة والتوكل الصحيح. وعن جابر بن يزيد عن الباقر عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجابر بن عبد الله : يا جابر هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام وِرْدَاً من ليله وصان بطنه وفرجه وحفظ لسانه خرج من الذنوب كما يخرج من الشهر، قال جابر : يا رسول الله ما أحسنه من حديث، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وما أصعبها من شروط))[2].

أعاننا الله وأياكم على أن نكون من المقبولين عند الله في هذا الشهر الكريم وأن يوفقنا إلى ليلة القدر بكرمه ولطفه وأن يغفر لآبائنا وأمهاتنا وأخواننا من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

[1] مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص١٨٦.

[2] المصدر نفسه .

المصادر والمراجع

المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الأخلاق والآداب الإسلامية، عبد الله الهاشمي.
٣- آداب السالكين، الفيض الكاشاني.
٤- إرشاد القلوب، الديلمي.
٥- الإرشاد، الشيخ المفيد.
٦- أسئلة حول رؤية الهلال، كتاب وفق فتاوي السيد السيستاني.
٧- اصول الكافي، الشيخ الكليني
٨- إعانة الطالبين، عثمان بن شطا البكري.
٩- الاعتقادات، الشيخ الصدوق.
١٠-بحار الأنوار، العلامة المجلسي.
١١-البرهان في تفسير القرآن، العلامة السيد هاشم البحراني.
١٢-بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار.
١٣-تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي.
١٤-تفسير ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير.
١٥-تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي.
١٦-تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي.

١٧-تفسير الصافي، الفيض الكاشاني.
١٨-تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي.
١٩-التفسير الكبير، الفخر الرازي.
٢٠-تلخيص التمهيد، محمد هادي معرفة.
٢١-تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي.
٢٢-تهذيب النفس، السيد أحمد الحائري.
٢٣-الحجج الواضحات، جاسم محمد لابش.
٢٤-الحدائق الناظرة، الشيخ يوسف آل عصفور البحراني.
٢٥-حقيقة الدين، السيد محمد باقر السيستاني.
٢٦-حكمة العبادات، العلامة عبد الله الجوادي الآملي.
٢٧-حياة الإمام الصادق، الشيخ محمد حسين المظفر.
٢٨-الخصال، الشيخ الصدوق.
٢٩-دراسات في القرآن الكريم، علي محمد الآصفي.
٣٠-دعائم الإسلام، القاضي المغزي.
٣١-الدين الإسلامي بحث في الأصول والمبادئ، سيد حسن القبانجي.
٣٢-روضة الواعظين، محمد بن فتال النيشابوري.
٣٣-زاد المعاد، العلامة المجلسي.
٣٤-سنن الترمذي، للترمذي.
٣٥-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج.

٣٦-الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين.
٣٧-الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيثمي المكي.
٣٨-عدة الداعي ونجاح الساعي، احمد بن فهد الحلي.
٣٩-عيون المواعظ والحكم، علي بن محمد الليثي الواسطي.
٤٠-الغيبة، الشيخ الطوسي.
٤١-فضائل الأوقات، البيهقي.
٤٢-في ظلال القرآن، سيد قطب.
٤٣-القرآن وفضائل أهل البيت، الأنديمشكي.
٤٤-كتاب الإقبال، ابن طاووس.
٤٥-كتاب الخصال، الشيخ الصدوق.
٤٦-كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي.
٤٧-كتاب الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.
٤٨-كتاب المحاسن، احمد بن محمد البرقي.
٤٩-كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق.
٥٠-لسان العرب، ابن منظور.
٥١-ليلة القدر، ابو القاسم شمس الدين الموسوي.
٥٢-محاضرات في المعارف الإسلامية، السيد مرتضى الميلاني.
٥٣-المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني.
٥٤-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي.
٥٥-مختصر بصائر الدرجات، الشيخ حسن بن سليمان الحلي.

٥٦-المسائل المنتخبة، السيد علي الحسيني السيستاني.
٥٧-مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني.
٥٨-مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، أبو الفضل الطبرسي.
٥٩-مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي.
٦٠-معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء.
٦١-مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي.
٦٢-من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق.
٦٣-منتهى المطلب في تحقيق المذهب، العلامة حسن بن يوسف الحلي.
٦٤-مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الشبزواري.
٦٥-ميزان الحكمة، محمد الري شهري.
٦٦-الميزان في تفسير القرآن، سيد محمد حسين الطباطبائي.
٦٧-النبوة الخالدة، السيد محمد باقر الصدر.
٦٨-نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد.
٦٩-وسائل الشيعة، الحر العاملي.

الفهرست

الفصل الثاني

الفصل الثالث